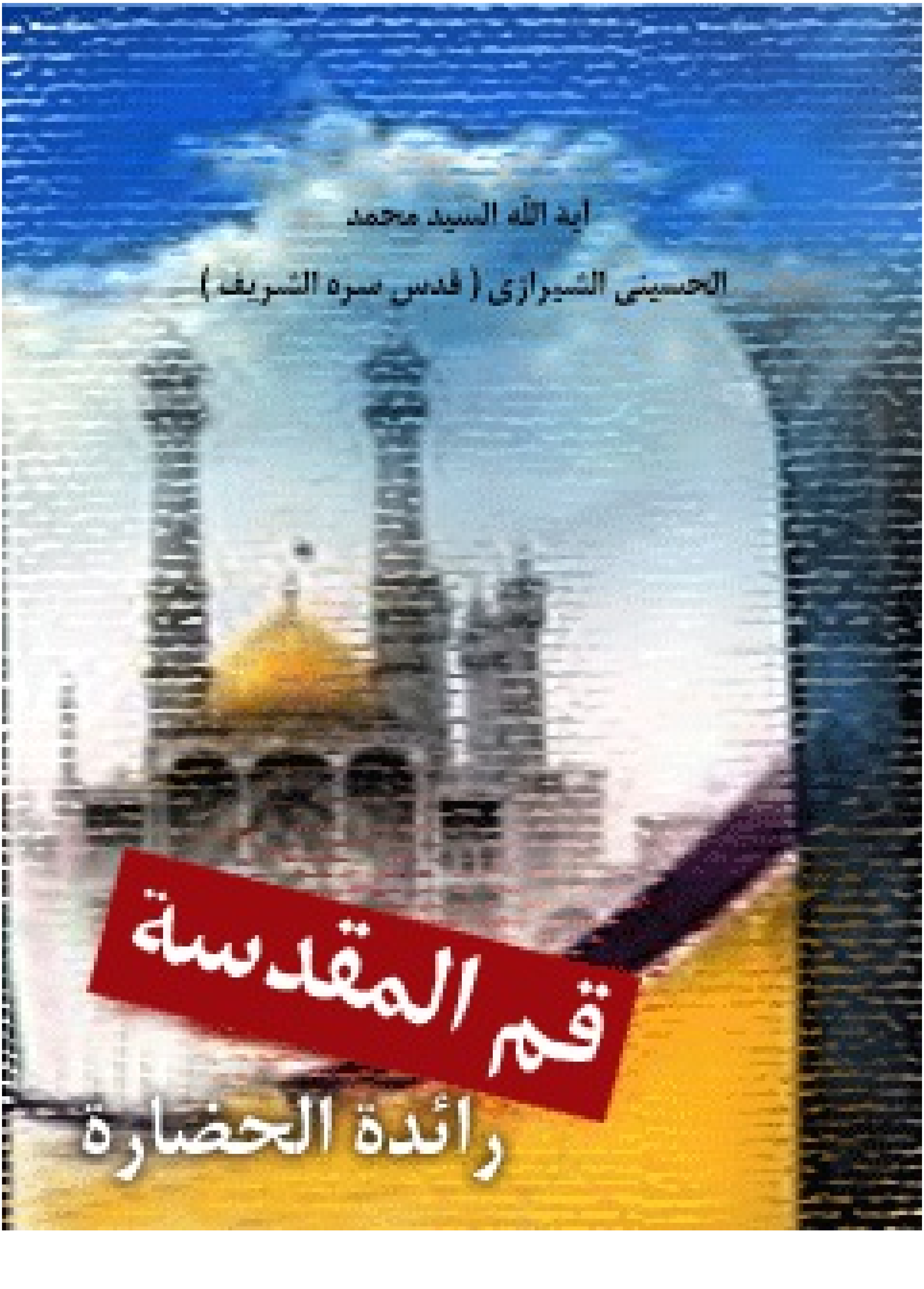

اية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)
قم المقدسة
رائدة الحضارة

بسم الله الرحمن الرحیم

قم المقدسة رائدة الحضارة

كاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

موسسه محمد امین صلی الله علیه و آله و سلم

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

قم المقدسة رائدة الحضارة

اشارة

اسم الكتاب: قم المقدسة رائدة الحضارة

المؤلف: حسينى شيرازى، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: موسسه محمد امين(ص)

مكان الطبع: كويت

تاريخ الطبع: ۱۴۲۲ ق

الطبعة: دوم

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كانت قم المقدّسة ولا تزال بحقّ رائدة الحضارة الإسلامية، وقاعدة الثقافة الشيعيّة الإمامية، وناشرة السنّة النبويّة الحقّة، المتجسّدة فى سيرة أهل بيت رسول الله الطيّبين الطاهرين، المتمثّلة فى مذهبهم الحقّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

وإنّما يكون المذهب الحقّ هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام) دون سواه من المذاهب، لما قد تواتر عن النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، ورواه الفريقان من انّه (صلى الله عليه وآله) قال برواية الطبرانى فى معجمه الكبير: ج۵ ص۱۶۷ «أيّها الناس! انّى تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إنْ اتّبعتموهما: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فانّهم أعلم منكم، ثمّ قال: أتعلمون إنّى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم. فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

أجل، لقد ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى اُمّته هذين الثقلين العظيمين والأمرين المهمّين: القرآن الحكيم والعترة الطاهرة، لكن الأحداث السياسية، خاصّة التى إفتعلها بنو اُميّة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، طغت على الاُمور الدينية والمعنوية، فأقصت الكتاب والعترة عن أوساط الناس، وحاربت وصى رسول الله وخليفته من بعده: الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وطاردت ذرّية رسول الله (صلى الله عليه وآله)بعد إستشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونكّلت بهم وبشيعتهم ومحبّيهم، ممّا إضطرّهم إلى الهجرة من أوطانهم، والإغتراب عن بلدانهم، واللجوء إلى البلاد النائية، والمناطق البعيدة، كبلاد الجبل، ومناطق الشرق.

نعم، لقد إستقبلت بلاد الجبل عموماً، ومدينة قم بالخصوص، الأشعريين الشيعة، وغيرهم من محبّى أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وإحتضنتهم بكلّ حرارة وحفاوة، وتقدير وتكريم، وسخت عليهم بالأمن والأمان، والتمركز والإستقرار، ممّا وفّر عليهم بعض الوقت، للإشتغال بالدرس والتدريس، والبحث والتنقيب، والتصنيف والتأليف بصورة عامّة، ونشر ثقافة القرآن الحكيم والعترة الطاهرة بصورة خاصّة.

فبينما كانت البلاد الإسلامية المركزية، كالعاصمة والبلدان المجاورة لها، تائهة فى مطبّات السياسة، هائمة فى متاهاتها، كانت البلاد الإسلامية النائية كقم ونواحيها، مشتغلة بمذاكرة العلم والمعارف العامّة، قائمة بحفظ ونشر تراث أهل البيت (عليهم السلام)المفسِّر

للقرآن الحكيم، والكاشف عن سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبزغ من بينهم رجال عظماء كالشيخ الشيخ الصدوق صاحب كتاب: «من لا يحضره الفقيه»، ونبغ فيهم رواة أجلّاء مثل البرقى مصنّف كتاب «المحاسن» وظهر منهم مؤرّخون نجلاء مثل الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى مؤلّف كتاب: «تاريخ قم» الذى وضعه باسم الوزير البويهى الشيعى، والأديب الأريب المعروف: الصاحب بن عبّاد، وذلك فى سنة ثلاثمائة وثمان وسبعين هجرية فى عشرين باباً، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية فى مطلع القرن التاسع الهجرى: الحسن ابن على بن الحسن بن عبدالملك القمّى، ترجمة كاملة، وذلك حسب الفهرست الموجود بالفارسية، ولكن لم يبق بأيدينا منه إلّا خمسة أبواب فقط، وأمّا الباقى المترجم فكالأصل العربى قد أكل عليه الدهر وشرب، وضاع بين حوادث الدهر وبُعد الأمد.

وكيف كان: فانّ قمّ المقدّسة كانت ولا ـ تزال رائدة الحضارة بحقّ، فقد تخرّج من مدرستها العلمية الرجال العظماء، وضمّت بين أكنافها الرواة والمحدّثين، واحتضنت فوق أرضها المقدّسة، العلماء الأعلام، الذين خدموا البشرية بتصانيفهم القيّمة، وأناروا العالم بمؤلّفاتهم الفذّة والثمينة، وقد استفادت البشرية وتنوّر العالم على طول التاريخ من علمهم ومعارفهم، قديماً وحديثاً وماضياً وحاضراً، حتّى عصرنا الحاضر، وتاريخنا المعاصر.

ومن جملة اُولئك الأوحديين النوابغ فى التاريخ المعاصر، الذين حملوا مشعل الهداية، ورفعوا راية العلم، وبثّوا علوم آل محمّد (عليهم السلام)، ونشروا ثقافتهم (عليهم السلام)الراقية، وثقافة القرآن العالية، عبر قلمهم وبواسطة كتبهم وتأليفاتهم القيّمة، والبالغة ما يربو على ألف كتاب وكتيب، والتى زيّنوا بها المكتبة الإسلامية، وأغنوها بالفكر الدينى الجامع، والثقافة الإسلامية الشاملة، هو مؤلّف هذا الكتاب القيّم: «قم المقدّسة رائدة الحضارة» سماحة المرجع الدينى الأعلى الإمام الشيرازى (حفظه الله تعالى وأبقاه) والذى يثبت من خلال هذا الكتاب، قداسة قم وريادتها للحضارة، وخدماتها للإنسانية عبر القرون الطويلة، وخروجها على الطغاة والمستبدّين ورفضها للظلم والاستبداد، ويتعرّض لذكر بعض رجالاتها الذين خدموا العلم والمعرفة، والفقه والاُصول، ويطرح فيه نظرية «شورى الفقهاء المراجع» لإدارة الحوزات العلمية المباركة، وتأسيسهم الأحزاب الحرّة المتنافسة على البناء والتقدّم، تمهيداً لتقلّد شورى الفقهاء المراجع زمام القيادة، والسير بالبلاد والعباد نحو التقدّم والإزدهار، والرقى والسعادة ان شاء الله تعالى، ونحن مساهمة منّا فى هذا الأمر الهامّ، قمنا بطبع ونشر هذا الكتاب، آملين من الله تعالى أن ينفع به المسلمين، وأن يتقبّل منّا بمحمّد وآله الطاهرين.

الناشر

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد: فقد كتبت سابقاً حول الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة كتاباً باسم: (كيف ينبغى أن تكون قم المقدّسة؟) وبعدها تتميماً للفائدة رأيت أن أضيف إلى ذلك قصصاً اُخرى حول نجاح العلماء الأبرار، الذين كانوا خير اُسوة لنا، واُضيف إليه أيضاً لمحة عن تاريخ قم المقدّسة وجغرافيتها، راجياً من الله سبحانه أن يوفّقنا لنشر العلم والفضيلة، وإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدّسة

محمّد الشيرازى

فصل دور الحوزات العلمية

فصل دور الحوزات العلمية

للحوزات العلميّة فى النجف وكربلاء، والحلّة وسامراء، وقم وخراسان، وكاشان واصفهان وغيرها دور كبير فى حفظ الثقافة الدينيّة، وصيانة الكيان الإسلامى والشيعى على مدى التاريخ الإسلامى الطويل. واليوم حيث تطوّرت الاُمور، وتشعّبت العلوم، وظهرت التخصّصات، وبرزت الكفاءات فى شتّى مجالات الحياة، فلابدّ من تطوير الحوزات العلميّة، وتكييف برامجها ومناهجها بما يلائم الظروف الراهنة، ويواكب متطلّبات العصر الجديد.

وفى مقدّمة التطوّرات والتغييرات التى ينبغى توفيرها فى الحوزات العلميّة، والعمل بجدّ على إيجادها فيها، هو: إشراف شورى المراجع على إدارتها، فإنّ نظام «شورى الفقهاء المراجع» بدليل «يد الله مع الجماعة» () وغيره، هو أفضل نظام يمكنه إصلاح الوضع الراهن ليس للحوزات العلميّة فقط، بل لكلّ الاُمّة الإسلامية وحتّى لكلّ العالم.

وعلى هذا فجدير بالحوزات العلميّة فى عصرنا الراهن، أن تنقاد لشورى المراجع، وتخضع لإدارتهم الحكيمة والرشيدة، وذلك بأن يكون العمل فيها بحسب أوامرهم وإرشاداتهم، الأمر الذى يضمن تقدّمها وتفوّقها، ويحفظ دورها ومركزيّتها.

وحيث إنّ الحوزات العلمية على سعتها، وإختلاف مشاربها، لا تخضع لأى نظام سوى شورى المراجع، فإنّ المرجع الواحد مهما كان قويّاً وحكيماً، فمن المستبعد أن تنقاد له الحوزات بالكامل.

من جانب آخر عدم إنقياد الحوزة بكاملها للبرامج والمناهج التقدّمية يلزم إصلاحه وعلاجه، وإلاّ فإنّ ذلك يؤدّى إلى ضعف مسيرة التقدّم، ويؤخّر الحوزات العلمية عن أداء مهمّاتها الإصلاحية الكبيرة بنجاح. كما قد ابتليت بها فى الحال الحاضر، فأصبحت لا تواكب متطلّبات المسلمين اليوم.

الحوزات العلمية وشورى المراجع

نعم، يلزم إندراج الحوزات العلمية تحت إشراف شورى المراجع، والإنقياد لإدارتهم السديدة، وإذا صارت الحوزات كذلك وخضعت لشورى المراجع كان الفقهاء المراجع هم الذين يخطّطون (حسب تشاورهم وتحاورهم، وطبق تجاربهم وخبراتهم) مناهج الدرس والبحث، وبرامج التبليغ والإرشاد، فإنّهم مثلا يعيّنون أوّل الدرس وآخره، وكيفيته واُسلوبه، فقهه واُصوله، عقائده وأخلاقه، وهم كذلك يعيّنون مرتّبات الطلاّب ورواتب المحصّلين، ووظائف الخطباء والمبلّغين، ودائرة عملهم وتبليغهم من حيث إحتياج الناس داخل البلاد الإسلامية أو خارجها، أو من حيث قدرات المبلّغين العلمية، ونشاطاتهم العمليّة، وتأمين معيشتهم وحياتهم اليومية، ليتفرّغوا للتبليغ والإرشاد، وإلى غير ذلك ممّا يسدّ حاجات الناس المعنوية، ويلبّى مطالبهم الروحية، ويرفع مستوى ثقافتهم الإسلامية والأخلاقية فى كلّ العالم.

أجل، انّ العالم الإسلامى وخاصّة الشيعى، هو اليوم بأمس الحاجة إلى نظام شورى المراجع وتثبيته فى الحوزات العلمية، وفى غيرها من المؤسّسات القيادية، الروحية منها والسياسية، حتّى يتمكّنوا تحت ظلّ هذا النظام من إسترجاع كيانهم وسؤددهم، وإصلاح دنياهم وآخرتهم، سيّما أنّ هذا النظام ممكن تحقيقه بين أوساط المسلمين ولكن بشرط المطالبة به، وممارسة الضغوط على المعنيين بأمره، كما أنّه يتوقّف على وجود الأحزاب الحرّة فى البلاد، تلك الأحزاب المنبثقة من الحوزات العلمية التى تتنافس فيما بينها على التقدّم والبناء، كما قال القرآن الحكيم()، لا التى تتناحر فيما بينها كما أمر به الشيطان الرجيم، وقد كتبنا فى مجال الأحزاب الحرّة، وكذلك فى مجال شورى الفقهاء المراجع، كتابين مستقلّين، وذكرنا فيهما بعض ما يرتبط بهذين الأمرين العصريين، والمهمّتين الملحّتين فى الحياة المتطوّرة، والعالم الجديد.

(الأحزاب الحرّة والأنظمة الإستشارية)

ثمّ إنّ الأحزاب الحرّة، المنبثقة من الحوزات العلميّة، المثقّفة بالثقافة الإسلامية والإنسانية تقوم فى الأنظمة المنفتحة الإستشارية أوّلا

وبالذات، بإصلاح البلاد إقتصاديّاً وسياسيّاً، وبإرشاد العباد فكريّاً وثقافياً، وتقوم بتمهيد الأرضية الصالحة لنظام شورى المراجع، فيكون من نتائج جهود الأحزاب الحرّة إستقرار نظام شورى المراجع، وليس معنى ذلك أنّ الأحزاب فوق الشورى وإنّما الأحزاب تهيّيء الظرف الملائم لتحقيق الشورى، فقد ذكرنا فى مختلف كتبنا حول الشورى وغيرها: بأنّ شورى الفقهاء المراجع، فوق القوى الثلاث فى الأنظمة الإستشارية، وفوق الأحزاب، وفوق كلّ المؤسّسات الدستورية.

(معالجة الحدود الجغرافية)

وممّا يجب على الأحزاب الحرّة التمهيد له فى البلاد الإسلامية هو: تطبيق حكم الإسلام فى الاُخوّة والوحدة وذلك بغَسل الحواجز النفسية من نفوس المسلمين، ورفع الحدود الجغرافية من بين بلادهم، وارجاع البلاد الاسلامية كلّها إلى بلد واحد وإن كان حكّامها متعدّدون، وذلك كما كان قبل عشرات السنين بالنسبة إلى كلّ واحد من العثمانيين والإيرانيين، حيث كانت لهما حكومتان مستقلّتان، دون أن تكون بينهما حدود جغرافية، وذلك لأنّ الاُمّة الإسلامية اُمّة واحدة كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)() فمثل الحكومات فى البلاد المختلفة كمثل المحافظات فى البلد الواحد، فكما لم يكن بين المحافظات فى بلد واحد حدود يفصل فيما بينها مع انّ لكلّ محافظة حاكماً خاصّاً، فكذلك يجب أن يكون بين البلاد الإسلامية المختلفة.

تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية)

وممّا يجب على الأحزاب الحرّة التمهيد له أيضاً هو إرجاع البلاد والعباد إلى قوانين الإسلام، مثل:

قانون: «الأرض لله ولمن عمّرها» ()

وقانون: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو أحقّ به» ()

وقانون الضمان الإجتماعى

وقانون حيازة المباحاة، وهكذا سائر القوانين الإسلامية المتروكة، سواءً كانت قوانين واجبة ومحتومة من صلاة وزكاة، وحجّ وجهاد، وعدل وقسط، وغير ذلك، أم قوانين مستحبّة ومكروهة من أخلاق وآداب، ومحاسن ومكارم، وسنن وفضائل وما أشبه ذلك ممّا أشرنا إلى بعضه فى مختلف كتبنا.

إذا تحقّقت هذه القوانين والأحكام الإلهية فى البلاد الإسلامية، تقدّمت الاُمّة إلى الأمام وتحقّق آمالها، وإزدهرت البلاد الإسلامية وكثر خيرها وبركاتها.

هذا وقد وعد الله الاُمّة الإسلامية النصر والغلبة بما لم يعد به غيرهم من الاُمم، وذلك حيث يقول سبحانه: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)() ويقول عزّوجلّ: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الاْعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)() ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» () وإلى غير ذلك من المبشّرات بالنصر والظفر، لكن شريطة الإيمان والتقوى، والمثابرة والعمل.

فصل مع مؤسّس حوزة قم العلمية

فصل مع مؤسّس حوزة قم العلمية

كان مؤسّس الحوزة العلميّة فى قم الشيخ عبدالكريم الحائرى (رحمه الله) ثاقب النظر، عالى الهمّة، فإنّه عندما رأى إنشغال الناس فى ايران والعراق خاصّة بالتوافه، وإنقسامهم إلى مستبدّة ومشروطة، وإلى انّ هذا عراقى أو ايرانى، وانّ ذاك نجفى أو كربلائى، تنبّأ عمّا سيجرى من الويل والدمار على الحوزات العلمية فى النجف وكربلاء.

وإنّما تتبأ ذلك لأنّ الناس الذين هم القاعدة والأساس لكلّ صرح وبناء، إذا إشتغلوا بتدمير أنفسهم بأيديهم، كان حال ذلك الصرح والقمّة المستند إليهم مسلّم الإنهيار والدمار، ولذلك خرج الشيخ من النجف مغادراً العراق إلى ايران وإلى قم خاصّة، لأنّ قم بلدة عريقة فى التشيّع والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، ولإحتضانها مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، وفكّر أن يؤسّس فيها حوزة علمية جديدة، بعيدة عن كلّ تلك التناحرات والإنقسامات، فبذر نواتها وإستمرّ فى سقيها ورعيها، حتّى نمت وترعرعت، وأثمرت وأينعت فكانت كما أراد الله لها، رغم محاربة البهلوى الأوّل للشيخ ولحوزته العلمية الجديدة التأسيس.

وقد نقل الشيخ مرتضى الحائرى نجل الشيخ المؤسّس: انّ البهلوى الأوّل لم يزل يحارب الشيخ وحوزته حتّى توفّى الشيخ المؤسّس، ولمّا توفّى لم يكفّ البهلوى عن محاربته له، ولم يستطع أن يكتم شديد حقده عليه، ولذلك منع من إقامة مجالس الفاتحة على روحه الطيّبة إلّا من قبل أهل بيته فى قم ولمدّة ساعتين فقط، بينما كان الشيخ مرجعاً كبيراً لكلّ الشعب فى ايران.

بعض مواصفات مؤسّس الحوزة

كان هذا بعض ما يرتبط بهمّة الشيخ المؤسّس (رحمه الله) وبنظره الثاقب فى الاُمور، وبإخلاصه فى عمله لله تعالى، وأمّا الذى زاده توفيقاً فى كلّ ذلك، فهو زهده فى الدنيا، ومداراته للناس، حتّى قال الشيخ مرتضى الحائرى نجله: بأنّه لمّا توفّى والده الشيخ المؤسّس، لم يترك شيئاً ادّخره لنفسه من حطام الدنيا، بحيث انّهم باتوا (يعنى عائلة الشيخ) يوم موته ليلا بلا عشاء، ممّا إضطرّهم إلى الإقتراض وتأمين لقمة عشاء متواضعة من السوق، ولعلّ هذا خير دليل على ما كان يتحلّى به الشيخ المؤسّس (رحمه الله) من المنزلة الكبيرة فى التقشّف والزهد.

أقول: انّ الشيخ المؤسّس (رحمه الله) وأمثاله من المؤسّسين الكبار، لهم على أثر جهودهم العلمية، وخدماتهم الثقافية الحقّ العظيم، والفضل الجسيم، على هذه الاُمّة، فيتأكّد علينا إزاء هكذا أشخاص أن نحيى ذكراهم، ونجدّد العهد معهم، ونتعلّم من زهدهم ونشاطهم.

وممّا يحيى ذكرهم هو: اتّخاذ بيوتهم كمدارس علمية، وقد حاولتُ أن أجعل داره فى قم مدرسة علميّة دينية، كما حاولتُ أن أجعل دار الميرزا القمّى صاحب القوانين وصاحب الكرامات المعروفة مدرسة علميّة دينيّة أيضاً ولكن وحتّى اليوم لم يحالفنا التوفيق لتحقيق هذا الأمل، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا.

وكيف كان: فانّ الشيخ المؤسّس: الشيخ عبدالكريم الحائرى لمّا توفّى، ووصل نبأ وفاته إلى البهلوى الأوّل، فرح من أعماق قلبه، حتّى ظهر ذلك على ملامح وجهه، وفلتات لسانه وقال: لقد إسترحت من معارض كبير، وخلا لى الجوّ بموت الشيخ اليزدى فى قم، لقد قال ذلك الكلام أمام بعض وزرائه، فقال له الوزير متجرّياً عليه: انّه مات وأنت ونحن أيضاً نموت، ثمّ تلا قوله سبحانه: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ)() فلم يكن للبهلوى فى جواب الوزير إلّا الخنوع والسكوت.

تمثال مؤسّس الحوزة العلمية فى قم المقدّسة

آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائرى (قدس سره)

تمثال آية الله العظمى البروجردى (قدس سره)

السيّد البروجردى يواصل مسيرة الشيخ المؤسّس

ثمّ انّه إستمرّ على مسيرة الشيخ المؤسّس من بعد رحيله، السيّد البروجردى (رحمه الله) فانّه كذلك كان يملك نظراً ثاقباً فى الاُمور، وعلوّ همّة فى الحياة، حيث إنتقل وبطلب جماعة من بروجرد إلى قم لإدارة الحوزة العلمية فيها، وكان (رحمه الله) فى حياته الشخصية على جانب كبير من الزهد والتقشّف، فقد نقل لى بعض أصدقائه انّه تمرّض مرّة، فجئنا له بالطبيب لعلاجه، ولمّا أجرى عليه الطبيب

الفحوصات اللازمة قال: انّه لا يعانى من مرض خاص، وإنّما يشكو ضعفاً مفرطاً، وعلاجه أن تقدّم له فى كلّ يوم مع غذائه شىء من اللحم المشوى «الكباب».

قال: فهيّأنا له ذلك وقدّمناه إليه، ولمّا رأى السيّد تغيّر طعامه وإضافة اللحم المشوى إليه، التفت إلى مَن كان يخدمه فى البيت وكان اسمه: الحاج أحمد وقال: ما هذا ياحاج أحمد؟

قال: هذا ما وصفه لكم الطبيب، فانّه لمّا رأى ما بكم من الضعف أوصى لكم بذلك.

فقال السيّد البروجردى فى جوابه: صحيح ولكن حالتى الإقتصادية، ومقدرتى المالية، لا تقتضى توفير مثل هذا الطعام، ولا تسمح لى بأكله، فاحمله عنّى حتّى أتمكّن من الأكل.

يقول الحاج أحمد: فإضطررت إلى حمله وإبعاده عنه، وحينئذ جلس على المائدة وأكل منها على عادته.

هذا مع انّه كانت تأتى إليه أموال كثيرة من مقلّديه فى شتّى أطراف الدنيا، فكان يبذلها حتّى آخرها على الحوزة، ويساعد بها الفقراء، ويبنى بها المشاريع الدينية، والمؤسّسات الخيرية، ولا يأخذ منها شيئاً لنفسه، ولا يدّخرها لشخصه، بل وأكثر من ذلك، فانّه (رحمه الله) كان قد ورث عقارات كثيرة فى بروجرد، فأصاب بلدة قم ذات مرّة جدب وقحط، شحّت فيه أرزاق الناس، وخاصّة رجال الدين المرابطين فى الحوزة، فباع السيّد (رحمه الله) جميع عقاراته التى وصلته بالإرث فى بروجرد، وصرف أثمانها على الناس وعلى رجال الدين فى الحوزة، وبذلك رفع عن أهل قم ضرر القحط، وأنقذهم من بؤس الفقر والمجاعة.

جولة فى حياة السيّد البروجردى

نقل عن السيّد البروجردى (رحمه الله) قصص كثيرة، وقضايا جمّة، مفيدة ونافعة جدّاً.

منها: قصّته المعروفة فى شفاء عينه ببركة تراب أقدام المعزّين فى موكب الزنجيل واللطم على الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث انّه مسح من تراب أقدامهم على عينيه، فشوفى ببركة الإمام أبى عبدالله الحسين (عليه السلام)، ولم يحتج إلى آخر عمره فى مطالعاته إلى الاستعانة بالنظارات.

ومنها: قضيّته المشهورة فى بناء المسجد الأعظم، وتأسيسه مكتبة المسجد العامّة، حيث انّه لمّا عزم على ذلك، طلب من أحد المهندسين البارعين أن يرسم له خارطة هذا المسجد ومكتبته، وعندما يوضّح سماحته للمهندس خصوصيات المسجد والمكتبة، يعارضه المهندس بقوله: بناء مسجد ومكتبة بهذه الخصوصيات يحتاج إلى أموال ضخمة.

يقول المهندس قوله هذا تعريضاً بعدم امتلاك سماحته المال الكافى لذلك، لكنّه يفاجأ بجواب من سماحته رافعاً بيده الكريمة ستاراً كان هناك وهو يقول له: انظر إلى هذه الأموال هل تكفى لهذه المهمّة؟ نظر المهندس فإذا به يرى تحت الستار رفوفاً متقاربة ومتواصلة من السقف حتّى الأرض، مليئة بالنقود الورقية الكبيرة الحجم، فيتعجّب من كثرتها ويقول: نعم انّها كافية وفوق الكفاية.

ثمّ انّ سماحته يقوم من عند المهندس لأداء بعض مهمّاته، فيرفع المهندس ذلك الستار ليرى هل يستطيع تخمين مقدار هذه الأموال المكدّسة وراء الستار، لكنّه يزداد تعجّباً عندما يرى انّ تحت الستار كتباً مرتّبة وليست أموالا مكدّسة، وعندها يطمئن المهندس بكرامة السيّد البروجردى وعظيم منزلته عند الله.

ومنها: ما نقله لى السيّد اليحيوى المشهور، الذى كان سابقاً فى بروجرد، قال: كان أحد أبناء عمومة السيّد البروجردى يؤذى السيّد كثيراً، ويتربّص به الدوائر، وكان السيّد يصبر على أذاه ولا يقول له شيئاً.

فمضت مدّة غير بعيدة، تسلّط فيها البهلوى الأوّل على الأوضاع، وحارب الدين وأهله، وشدّد على الحوزات العلمية، وطارد رجال الدين، فشرّدهم ونفاهم عن بلدانهم، وكان ممّن شملهم النفى والتبعيد هو: ابن عمّ السيّد البروجردى، فأُبعد عن بروجرد مسقط رأسه، وبقى مدّة فى المنفى غريباً وحيداً.

يقول السيّد اليحيوى: ذات مرّة رأيت فى المنام الإمام الحجّة (عليه السلام)، فتشفّعت لابن عمّ السيّد البروجردى عنده، وسألته الشفاعة له عند الله بالرجوع إلى مسقط رأسه، فأجاب (عليه السلام): لا طريق له إلى ذلك إلّا أن يسترضى السيّد البروجردى، ويعتذر إليه ممّا إرتكبه فى حقّه من الأذى.

ويضيف السيّد اليحيوى قائلا: فلمّا قمت من النوم وأصبح الصباح ذهبت إليه ونقلت له القصّة، فتأثّر تأثّراً كبيراً لكنّه لم يقل شيئاً غير الإستغفار والتوبة إلى الله تعالى، ثمّ انّه بعد ذلك قال: اكتب لى رسالة إلى السيّد البروجردى تعتذر فيها عن لسانى منه، وتتنصّل منّى إليه. قال: فكتبت رسالة إعتذار عن لسانه إلى السيّد البروجردى وأرسلتها إليه، وما أن وصل الكتاب إلى السيّد البروجردى، حتّى وصل أمر من البهلوى بالإفراج عنه، وجواز رجوعه إلى بلده ومسقط رأسه، فرجع ورجعت معه إلى بروجرد.

نعم هكذا يهتمّ الإمام المهدى (عليه السلام) كإهتمام آبائه الكرام، بوكلائهم العامّين الذين يخدمون الدين، ويخدمون المسلمين بإخلاص، ولا يرضون إلّا برضاهم.

البهلوى الأوّل ومصيره المحتوم

وأمّا البهلوى الأوّل، الذى حارب الحوزة العلميّة فى قم، وناهض مؤسّسها وحاربه، وفرح عند موته وشمت به، فانّه قد مات أيضاً كما قال له وزيره لكن فى التبعيد، وبأسوء حال وشرّ ميتة، فقد أُبعد من ايران إلى جزيرة موحشة، وتُرك فيها وحده، ثمّ زُرق ابرة الموت فكان فيها حتفه، كما فُعل ذلك من بعده بإبنه البهلوى الثانى.

وإنّما فَعَلَ بالبهلوى الأوّل كلّ ذلك، الذين جاؤوا به إلى الحكم من البريطانيين، فقد كان البريطانيون يعلّمون البهلوى الأوّل الإيرانى، وصديقيه: أمان الله خان الأفغانى، وأتاتورك التركى، سنوات عديدة فى مكان واحد فى لندن، ويدرّبونهم على محاربة الإسلام وأهله، وبالفعل فقد توصّل كلّ منهم إلى الحكم فى بلاده عبر إنقلاب عسكرى دبّره البريطانيون لهم، ثمّ اُخذ كلّ منهم بمحاربة الإسلام وأهله، وذلك فى قصص مشهورة.

كان هذا مصير البهلوى الأوّل فى الدنيا، وأمّا مصيره فى الآخرة فقد نقل لى أحد الزهّاد فى طهران وإسمه: السيّد على وذلك قبل أربعين سنة تقريباً قائلا: انّى رأيت البهلوى الأوّل بعد موته وكانوا قد أتوا بجسده محنّطاً ودفنوه فى مكان فى طهران فى قبره، فرأيت القبر كأنّه بئر من النار تضطرم عليه، وكان كلّما التهبت البئر بالنيران وتطاول لهيبها، قذفت به مع رجل آخر لم أعرفه كان فى صدره صليب إلى خارج القبر، وهما كالفحمتين من شدّة الإحتراق، ويصرخان من عظيم العذاب ويقولان: الويل لنا، ثمّ الويل لنا، ثمّ الويل لنا، ثمّ يرتكسان من رأسهما فى القبر، وتبتلعهما من جديد النيران، لتقذف بهما فى فورانها ثانية وثالثة ورابعة وهكذا.

السلام وجواب السلام

وحيث إنّه بلغ بنا الحديث إلى السيّد البروجردى (رحمه الله)ودار الكلام حول علمه وإدارته، وتقواه وزهده، فلا بأس بذكر القصّة التالية عن أخ له كان زاهداً عابداً، ورعاً متّقياً، فقد قيل: انّه كان للسيّد البروجردى (رحمه الله)أخ عالم يسكن فى جوار مشهد الإمام الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء بخراسان، ولم يكن فى العلم كالسيّد البروجردى، لكنّه كان زاهداً متّقياً، وقد نقل عنه انّه ذات ليلة تشرّف إلى زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) فى روضته المباركة، وفيها رأى الجموع الغفيرة من الناس يزورون، ويقدّمون السلام إلى الإمام، ففكّر فى نفسه فى كيفية جواب الإمام الرضا (عليه السلام)على سلام هؤلاء الزائرين، وهل انّه يجيب كلّ واحد واحد منهم على حدة، أو يجيب الجميع بصيغة الجمع مرّة واحدة؟ ثمّ وقع فى نفسه بأنّه كيف يمكن أن يجيب الإمام (عليه السلام) واحداً واحداً من هؤلاء الزائرين وهم على هذه الكثرة الكبيرة خصوصاً أنّ سلامهم يقع أحياناً متقارناً بعضه مع بعض؟ وبعد مضى يومين، أو ثلاثة أيّام على تفكّره هذا، تشرّف بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام)فى السحر، وعندما دخل الروضة المباركة تمّت له المكاشفة التالية:

إنّه رأى الإمام الرضا (عليه السلام) جالساً على كرسى فوق الضريح المقدّس وهو يجيب سلام كلّ واحد واحد من زوّاره مميّزاً بينهم، وذلك بسرعة فائقة، يعجز الإنسان العادى عن الجواب بمثلها، والتمييز الدقيق بين الزائرين المسلّمين عليه.

ثمّ التفت الإمام الرضا (عليه السلام) إليه فى تلك الحالة وقال له: هكذا نجيب سلام زوّارنا، ونميّز بينهم واحداً واحداً، ثمّ ذهبت عنه حالة المكاشفة، فلم ير الإمام الرضا (عليه السلام) وإنّما رأى الروضة المباركة على ما كانت عليه.

نعم لقد خصّ الله تعالى المعصومين من محمّد وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بالولاية التكوينية، كما خصّهم بالولاية التشريعية، وسخّر لهم كلّ شىء وأقدرهم بإذنه على كلّ شىء، كما أقدر بإذنه موسى الكليم على الثعبان واليد البيضاء، وعيسى المسيح على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.

فاطمة المعصومة (عليها السلام) ومقام الشفاعة

وهنا لا بأس بذكر قصّة ترتبط بالسيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) وبمقامها عند الله فى الشفاعة وهى: انّ شخصاً رأى فى المنام السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) فتقدّم نحوها وسلّم عليها ثمّ إستأذنها فى السؤال، فأذنت له، فقال متسائلا: هل صحيح ما يُنقل عنكم من أنّكم تشفعون عند الله لأهل قم؟ فقالت السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) فى جوابه: انّ الذى يشفع لأهل قم هو الميرزا القمّى صاحب القوانين، وأمّا أنا فإنّى أشفع لأهل العالم.

أقول: من الواضح انّ من شأن الميرزا القمّى ومقامه عند الله أن يشفع لأهل قم، والسيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) أن تشفع لأهل العالم، كما جاء فى الحديث فى سفينة البحار عن الإمام الصادق (عليه السلام) بأنّه يُدخل الله بشفاعة إبنته السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) شيعته الجنّة أجمعين()، ولكن ليس معنى هذا هو أنّ أهل قم جميعاً يُشفعون بسبب الميرزا القمّى، أو انّ أهل العالم كلّهم يشفعون بسبب السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) دون أن يكون للنبى (صلى الله عليه وآله)والأئمّة الطاهرين (عليهم السلام) والسيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مدخليّة فى شفاعتهم، وذلك لأنّ مقام السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) والميرزا القمّى فى الشفاعة هو فرع على مقام النبى (صلى الله عليه وآله) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) فى الشفاعة، والفرع لا يكون إلّا بفضل الأصل.

(الشعائر الحسينية وآثارها)

وهناك قصّة اُخرى ترتبط بالشعائر الحسينية، وتعبّر عن محبوبيتها لدى أهل البيت (عليهم السلام) ومدى إكرام الإمام الحسين (عليه السلام)لمروّجها والملتزم بها والمقيم لها، ألا وهى انّ أحد علماء طهران المتوفّى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى أوّل نزولنا فى قم كان فى حياته مصرّاً على تعظيم الشعائر المرتبطة بالإمام الحسين (عليه السلام) إصراراً بليغاً، ومروّجاً للشعائر الحسينية بمختلف أقسامها ترويجاً واسعاً.

هذا العالم لمّا حضرته الوفاة أوصى أولاده أن ينقلوا جثمانه إلى كربلاء المقدّسة، وأن يدفنوه فيها إلى جوار الإمام الحسين (عليه السلام)، فلمّا توفّى وأراد أولاده تنفيذ وصيّته، ونقل جثمانه إلى كربلاء المقدّسة، واجههم منع الدولتين: الإيرانية والعراقية على أثر الحرب القائمة بينهم فى قصّة مشهورة ومعروفة من ذلك، فاضطرّوا إلى دفنه فى ايران، وصار الأمر عندهم مردّداً بين دفنه فى مدينة مشهد إلى جوار الإمام الرضا (عليه السلام)، أو فى مدينة قم فى جوار السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، لكنّهم فى الأخير رجّحوا الدفن فى قم لأنّها أقرب إلى طهران، فدفنوا والدهم فى قم، وذلك فى مقبرة قريبة من روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) تعرف بمقبرة «الشيخان».

وحيث انّه يستحبّ أن يزار الميّت، وأن يؤتى قبره لقراءة الفاتحة على روحه، فى اليوم الثالث من موته، وكذا فى اليوم الخامس والسابع

والأربعين وفى رأس السنة، فقد زار أولاد هذا العالم وذووه أباهم فى سابعه، وجاؤوا إلى قبره لقراءة الفاتحة على روحه، فرأوا على قبره جماعة قد أحاطوا بالقبر، وجلسوا عليه يقرأون الفاتحة، ومعهم بعض الحلويّات والفواكه، وهم يعملون ما يعمل أهل الميّت وذووه به، فتعجّب أولاد العالم وذووه من هذا المنظر الغريب، فتقدّم أحدهم إليهم وقال: انّ هذا القبر قبر والدنا، فلماذا إجتمعتم أنتم عليه؟ هل انّكم إشتبهتم فى ذلك؟

فكان الجواب منهم: كلاّ ـ ولكنّا إجتمعنا على هذا القبر لنقرأ الفاتحة على روح المدفون فيه، ولنهدى ثواب الخيرات من حلويات وفواكه إلى روحه تشكّراً منه، وذلك لأنّ له الفضل علينا.

فقال لهم بتعجّب: وكيف له الفضل عليكم؟

قالوا: كان لنا والد قد توفّى قبل عدّة سنوات فدفناه فى هذه المقبرة، وحيث انّه لم يكن إنساناً ملتزماً فى حياته، لم نره فى المنام إلاّ وهو فى حالة غير حسنة، وكلّما أهدينا له ثواب بعض الخيرات من صلاة وصدقة، وقرآن ودعاء، وما أشبه ذلك لم ينتفع به، حتّى كأنّه لا يصل إليه، وكلّما رأيناه فى المنام كنّا نراه على تلك الشدّة، ثمّ انّه قبل أيّام رأيناه بحالة حسنة، فقد رأيناه فى بستان جميل، ومياه جارية، وأشجار عالية، وقد أحدق من حوله الخدم والحشم، والحور والغلمان، فتعجّبنا من ذلك، وسألناه عن سبب تحسّن حاله، وعن كيفية خلاصه من شدّته؟ فأجاب قائلا: لقد دفن فى هذه المقبرة عالم ربّانى وأشار إلى هذا القبر الذى إجتمعنا نحن حوله، وقال: لمّا دفنه ذووه هنا وإنصرفوا عنه، زاره الإمام الحسين (عليه السلام) بعد انصرافهم، وعندها رفع الله العذاب ببركة الإمام الحسين (عليه السلام)عن كلّ من دفن فى هذه المقبرة، وكنت أنا من جملتهم.

ثمّ أضاف المجتمعون حول القبر قائلين: وإنّما جئنا إلى هذا القبر وجلسنا حوله، لنقرأ الفاتحة على روح هذا العالم الربّانى، الذى زاره الإمام الحسين (عليه السلام) ورفع الله بسببه العذاب عن ميّتنا، وذلك شكراً له وثناءاً عليه.

قم منطلق الخطباء والمبلّغين

انّ قم المقدّسة تحتل اليوم أكبر موقع روحى بالنسبة إلى العالم الإسلامى، بل مع كلّ العالم حيث يوجد فيه إنسان مسلم، وذلك لأنّها أصبحت اليوم (لما فيها من المراجع والفقهاء، والحوزة العلمية، ورجال الدين) محطّاً لأنظار كلّ المسلمين، ومورداً لإحترامهم، وهذا ممّا يزيد فى مسؤوليتها تجاه المسلمين بل تجاه كلّ العالم بأسره، إذ عليها اليوم أن توصل إليهم ما يحتاجونه من الاُمور المعنوية والأخلاقية، وما يهمّهم من المسائل الدينية والشرعية، وهذا لا يتمّ إلاّ بالتبليغ والإرشاد.

ومن المعلوم انّ التبليغ والإرشاد يتوقّفان على وجود مبلّغين ومرشدين، يتناسب عددهم مع العدد الذى يراد تبليغهم وإرشادهم، فهل هناك فى قم المقدّسة وحوزتها العلمية المباركة عدد مناسب من المبلّغين والمرشدين أم لا؟

يقال: إنّ هناك فى قم المقدّسة أربعون ألف رجل دين، وهو عدد قليل لا يتناسب مع المهمّة الموكولة إليهم، بينما نرى أنّ للبابا وجهاز التبشير فى المسيحية ما يقرب من خمسة ملايين مبشّر حسب بعض الإحصاءات.

هذا مع انّ عدد المسيحيين اليوم فى العالم الف مليون نسمة، وعدد الشيعة فى العالم الف مليون نسمة أيضاً، وكذلك أبناء العامّة فانّ عددهم فى العالم الف مليون نسمة أيضاً. ولقد نقلنا هذه الإحصاءات الثلاثة من المصادر المعتبة بذلك.

فعدد الشيعة اليوم يعادل عدد أبناء العامّة، وانّ كلا منهما يشكّل نصف عدد المسلمين، البالغ حسب الإحصاءات الأخيرة أكثر من مليارى مسلم، وفق ما أقرّ به الرئيس المصرى، الخبير بنفوس الشيعة والسنّة لمكان الأزهر فى مصر: أنور السادات، فى خطاب له نشرته جريدة الأهرام المصرية، وقد رأيت الجريدة وقرأت نصّ الإقرار فيها، كما وقد ذكرت ذلك النصّ من الجريدة المذكورة مع ذكر عددها وتاريخها، ورقم صفحتها وسطرها فى بعض ما كتبناه حول الشيعة() وكنّا حينذاك فى الكويت.

ثمّ انّ جهاز التبشير فى المسيحية بقيادة البابا جهاز له إمتداداته بحيث انّه يتكفّل بجميع شؤون المبشّرين من راهبين وراهبات، وغيرهم،

ويقوم بواجباتهم ومتطلّباتهم، ويوفّر لهم كلّ إمكانيات التبشير من تهيئة تذاكر للسفر، وتأمين ذهابهم وإيّابهم، وتعيين منطقة تبشيرهم، وغير ذلك، وفى المقابل يشترط الجهاز على المبشّرين، إنجاز مؤسّسات خيرية تبشيرية فى كلّ منطقة يبقى أحدهم فيها مدّة خمس سنوات، من كنيسة أو مدرسة أو مستوصف أو ما أشبه ذلك.

وهذا الإنجاز والتأسيس مع الأسف الشديد غير موجود عند المسلمين، لا عند الخاصّة ولا العامّة، ولهذا نرى انّ فى كلّ خمس سنوات تزداد مؤسّسات المسيحيين الخيرية التبشيرية بمعدّل خمسة ملايين مؤسّسة، وذلك لأنّ منهم من لا يشمله شرط التأسيس، ومن يشمله الشرط قد يؤسّس بعضهم أكثر من مؤسّسة واحدة، فيكون المعدّل خمسة ملايين.

وكلّ ذلك التقدّم يرجع إلى التنسيق والتشاور الموجود فى جهاز التبشير العالمى، المفقود ذلك أيضاً عند المسلمين، مع انّ الإسلام هو الذى يأمر بالتنسيق والتشاور، ففى القرآن: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا)()(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)() وفى الحديث: «يد الله مع الجماعة» () و «نظم أمركم» () و «الإستشارة عين الهداية» () وإلى غير ذلك.

كاشان دار المؤمنين

كانت مدينة كاشان من توابع قم فى عراقتها بالتشيّع، وفى إحتضانها العلماء العاملين، والخطباء المبدعين، وكانت ولا تزال تعرف بدار المؤمنين، والقصّة التالية تؤيّد أنّ لكاشان هذه المعانى:

لقد هلّ هلال المحرّم بالحزن والأسى فى بعض السنين على العالم، وإشتغل الشيعة بإقامة الشعائر الحسينية، وعقد مجالس العزاء والمنبر الحسينى فى كلّ البلاد، ومنها كاشان، ومن المعلوم انّ المجالس والمنابر تكون بكثرة بالغة فى أيّام العشرة الاُولى من المحرّم، بحيث إنّ الخطباء والمبلّغون يكون لهم أكثر من مجلس للخطابة والتبليغ فى هذه العشرة بالنسبة إلى كلّ أيّام السنة، ولذلك تنهكهم الخطابة، ويجهدهم التبليغ فى هذه العشرة خاصّة فى اليوم العاشر وليلته أكثر من كلّ وقت.

وفى مساء يوم عاشوراء، وفى وقت متأخّر منه، يلتقى أحد خطباء كاشان وهو فى طريقه إلى بيته منهكاً متعباً بامرأة من المؤمنات وتطلب منه أن يقرأ لها فى بيتها مجلساً على الإمام الحسين (عليه السلام)، فيعتذر منها فتصرّ عليه.

يقول ذلك الخطيب: إنّى كنت فى غاية التعب والنصب، وما كنت أتمكّن من القراءة والخطابة، لكن إصرارها أوجب علىّ أن أستجيب لها وأذهب إلى دارها، كانت الدار مهيّأة لإستقبال المعزّين وبابها مفتوحاً على مصراعيه، فدخلت فى الدار فرأيت فيها غرفة ملبّسة بالسواد، قد وضع فى صدرها منبر مغطّى بسواد، وفى زاوية منها قد اُعدّت وسائل الشاى وما أشبه ذلك، لكنّى لم أر أحداً فيها، فقلت للمرأة متعجّباً: إذن أين المستمعون؟

قالت: ليس المهمّ وجود المستمعين، وإنّما المهمّ إقامة مجلس العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) فاقرأ أنت فى سبيل الله وقربة إلى الله.

قال الخطيب: فارتقيت المنبر وأخذت فى الخطابة وذكر المأتم وما حلّ على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) من مآسى وويلات، وبينما أنا جالس فوق المنبر ومشغول بالخطابة، وإذا بى أسمع نياحة النساء وبكائهنّ فى تلك الغرفة ولكنّى ما كنت أرى أحداً فيها، فتعجّبت تعجّباً بليغاً، فلمّا أكملت المأتم وفرغت من قراءة المجلس، نزلت من المنبر وسألت المرأة صاحبة المجلس عن النياحة، والبكاء فى الغرفة مِمَّن كان؟

فقالت: إنّى لا أعلم.

قال الخطيب: فذهبت إلى البيت ونمت، وفى عالم الرؤيا سمعت هاتفاً يقول لى: انّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت حاضرة فى المجلس وكانت هى التى تبكى، وقد أثّر هذا الأمر الدالّ على إخلاصه فى خطابة هذا الخطيب بحيث انّه لمّا كان يصعد المنبر بعد تلك القصّة ويقول: السلام عليك ياأبا عبدالله، كان المجلس يرتجّ بالبكاء والنحيب، وكان مجلسه هكذا إلى أن توفّى رحمة الله عليه.

فصل المحدّث القمّی مفخرة من مفاخر قم

فصل المحدّث القمّی مفخرة من مفاخر قم

ثمّ انّ من مفاخر قم المقدّسة المرحوم المغفور له، المحدّث الكبير، الشيخ عبّاس القمّی، صاحب كتاب مفاتيح الجنان، وسفينة البحار، وكتب اُخری تصل إلی قرابة مائة كتاب ممتع ومفيد.

انّ هـذا العالم الجليل، والمحـدّث النحرير، بالإضافـة إلی علمه الغزير والمتنوّع، وإستمراره العجيب والـدائم فی الكتابة والتأليف، كان وبصدق ورعاً زاهداً، ومتّقياً عابداً، وقد توفّی فی النجف الأشـرف ودفن هناک فی جوار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت له فی حياته الكريمة قصص جميلة، منها ما يلی:

انّ المحدّث القمّی يقوم قبل ثمانين سـنة تقريباً حسب نقل بعض الأخيار بزيارة له إلی الإمام الرضا (عليه السـلام) فی مشهد المقدّسة، وذات ليلـة يـذهب بعد صـلاتی المغرب والعشاء لزيارة أحد العلماء، ولم يكن الطريق إليه معبّداً ولا مزوّداً بالنور، كما كانت العادة فی الطرق سابقـاً، (وقـد رأيت مثل ذلک لمّا كنت فی النجف الأشـرف قبل ستّين سـنة تقريباً فانّ الطرق كانت مظلمـة وغير معبّـدة، وكان الظلام شديـداً فی الليالی، وخاصّـة الليالی غير المقمرة بحيث كان الإنسان لا يری موضع قـدميه، ويشقّ المشـی عليه) ولكن المحـدّث القمّی كما يحدّثنا الشـخص الذی كان يمشـی خلفه، كان يمشی براحة ومن دون مشقّة، وذلک لأنّ نوراً كان يسعی بين يديه ويضیء له الطريق، فيتعجّب ذلک الشخص من مصدر النور، حيث انّه لا يری مع المحدّث القمّی مصباحاً، ولا ما يبعث علی النور معه، ولذلک يسـرع فی المشـی حتّی يصـل إليه ليری من أين يكـون النـور، ومـا هـو مبعثه؟ فلمّـا وصـل إليه إذا به يری انّ مصـدر النور ومبعثه هو: المحدّث الشيخ عبّاس القمّی (رحمه الله) وذلک انّه كلّما ذكر الله تعالی وسبّحه خرج من فمه نوراً أضاء له الطريق.

أقول: ومثل هـذه الحالـة توجـد فی الآخرة أيضاً، وقـد أشار إليها قوله تعالی: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْـعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ)() (والظاهر: انّ النور الذی يسـعی بين أيديهم يكون منبعثاً من وجوههم، والنور الذی يسـعی فی طرف أيمانهم يكون منبعثاً من صـحيفتهم، غير انّ نور المؤمنين والمؤمنات فی القيامة حسب ظاهر الآية الكريمة يكون مسـتمرّاً، فانّ سطح القيامة مظلم جدّاً وإنّما يكون الضـياء فيه من هـذه الأنوار، والمهمّ فی الأمر هو: انّ هـذه الأنوار إنّما يسـتفيد منها الصالحون فقط، وامّا الطالحون فانّهم كما لا يرون النور فی جهنّم والعيـاذ بـالله) فكـذلک لا يرونه يوم الحساب، بل يقضون موقفهم فی القيامـة فی ظلام دامس مع انّ تلک الأنوار أمامهم، فيكون مثلهم كمثل الأعمی الـذی يمشـی مع إنسان بيـده مصـباح منير، فانّ من بيـده المصـباح يری النور أمّا الأعمی فلا يری ذلک النور أبداً.

من كرامات المحدّث القمّی

ومن القصـص الدالّـة علی كرامة المحدّث القمّی (رحمه الله) هو ما نقل عن بعض: من انّه كان له صديق ظاهر الصـلاح، فذهب ذلک الصـديق إلی الحجّ وزيارة مرقد رسول الله (صـلی الله عليه وآله) وأئمّة البقيع (عليهم السـلام) فی المدينة، ولمّا رجع من الحجّ والزيارة زاره الناس من معارفه وجيرانه وأصـدقائه، ما عـدا الشـيخ عبّاس القمّی (رحمه الله)فانّه لم يزره، فتعجّب ذلک الصـديق من عـدم زيارة الشيخ له، وذات يوم وقد خرج فی بعض حوائجه فإذا به يری الشيخ فی الطريق، فسأله: لماذا لم يزره مع انّه علم برجوعه؟

فقال له الشيخ المحدّث (رحمه الله): كيف أزورک وأنت لم تُتب إلی الله سبحانه وتعالی ممّا عملته فی عرفات؟

فخجل الصديق من كلام الشيخ وقال: أستغفر الله وأتوب إليه، ثمّ ودّعه وانصرف.

ثمّ انّ ذلک الصـديق قال: لقـد تعجّبت من الشـيخ المحـدّث كيف اطّلع علی ما لم يطّلع عليه سوی الله تبارک وتعالی وأنا، وذلک انّه كان قـد إرتكب معصـية لم يعلم بها أحد، وإنّما علم به العالم بالنوايا والأسـرار فقط، وهو الله سـبحانه وتعالی والمرتبطون به، ممّا يدلّ

على انّ الشيخ المحدّث (رحمه الله) كان قد تأهّل لأن يكون من اُولئك المرتبطين بالله تبارك وتعالى، وإلاّ فمن أين علم الشيخ بذلك، مع انّه كان بينه وبين صديقه في لحظة المعصية مسافاة بعيدة؟

ومن القصص الدالّة على كرامة المحدّث القمّي (رحمه الله) أيضاً هو ما نقل عنه: من انّه ذهب ذات مرّة بصحبة السيّد محمّد نجل السيّد حسين القمّي (رحمه الله) إلى إحدى المقابر لزيارة أهل القبور وقرائة الفاتحة على أرواح الموتى، فلمّا دخلا المقبرة سمع الشيخ عبّاس القمّي صوت صراخ وعويل، ورنّة وأنين، وكأنّ إنساناً يُعذّب في قبره في ناحية من المقبرة، فاتّجه الشيخ المحدّث هو والسيّد محمّد القمّي إلى تلك الناحية، حتّى إذا إقتربا من القبر الذي كان يعلو الصراخ منه، التفت الشيخ عبّاس إلى السيّد محمّد وقال: كأنّي أسمع صوتاً مرعباً، وصراخاً مُفزعاً، يعلو من هذا القبر، فهل تسمع أنت شيئاً؟

فأجاب السيّد بالنفي، فلم يقل له الشيخ المحدّث شيئاً، وتبيّن له انّه وحده الذي يسمع صوت ذلك الميّت المعذّب، وكان هناك اُناس قد إجتمعوا على قبره وكأنّهم كانوا قد فرغوا من دفنه، فسألهم الشيخ المحدّث عن حال ميّتهم، فظهر انّه كان في حياته من الأشخاص غير المبالين بأمر دينهم.

نافذة على عالم البرزخ)

هناك في كتاب البحار، وكتاب لئالي الأخبار، وغيرهما من كتب الحديث تفصيل حول عذاب القبر، وما يلاقيه أهل القبور من العذاب جرّاء أعمالهم في الدنيا، خاصّة إذا كان الشخص غير مبال بدينه وآخرته. وتأكيداً لتلك المطالب المذكورة في مثل هذه الكتب فقد نُقل أنّ أحد العلماء سمع أصواتاً مفزعة من بعض الموتى المعذّبين، وذلك حسب ما نقل هو، وكان هذا العالم في زماننا وقد رأيناه والتقينا به فقصّ علينا القصّة التالية:

قال: كنت مشتغلا بتلقّي الدروس الدينية في إحدى المدارس العلميّة في ايران وأنا أعزب لم أتزوّج بعد، فذهبت إلى الشيخ محمّد الكاشي المعروف بالزهد والتقوى، وطلبت منه أن يعلّمني عملا يوجب إنقطاعي عن الدنيا وإقبالي على الله سبحانه وتعالى.

فقال لي الشيخ الكاشي: عليك أن تذهب ولمدّة ستّة أشهر إلى زيارة أهل القبور في مقبرة البلد، وليكن ذلك في كلّ ليلة عند منتصف الليل ثمّ تبقى في المقبرة متعبّداً إلى الصباح.

قال: ففعلت ذلك وكنت أذهب كلّ ليلة في منتصفها إلى المقبرة متحمّلا كلّ المصاعب التي كانت في هذا الطريق، من ظلام الليل وعدم وجود مصابيح تضيء الشوارع والأزقّة، ومن وحشة الليل وعدم وجود المارّة في الطريق، والمؤنس في المقبرة.

وذات ليلة لمّا ذهبت إلى المقبرة وإقتربت منها سمعت صوتاً شديداً مزعجاً، في غاية الشدّة والإزعاج، وكنت كلّما إقتربت من المقبرة إقترب ذلك الصوت وإشتدّ، حتّى إذا دخلتها رأيت هناك جنازة وإلى جنبها سراجاً ذا ضوء خافت، وقد جلس إلى جانبه رجل يتلو القرآن على تلك الجنازة، ويعلو الصوت منها، فلمّا إقتربت منها جيّداً، إذا بي أرى ملكين يضربان هذا الميّت بمرزبتين من نار، والميّت يستعر ناراً ويصرخ صراخاً يقطّع نياط القلب، ويذهل الإنسان، فأدهشني المنظر وأرعبني، فتمالكت نفسي والتفت إلى ذلك القاريء الذي كان يقرأ القرآن عنده وقلت له: هل ترى ما أرى، وتسمع ما أسمع؟

فقال: ما ترى وما تسمع؟

قلت: أرى ملكين يعذّبان الميّت، وأسمع صراخ الميّت وعويله.

فأجاب بالنفي، فعلمت انّ عيني واُذني قد فتحتا بإذن الله تعالى على بعض ما يجري في عالم البرزخ من الاُمور البرزخية، ثمّ استولى عليّ الخوف والذعر، بحيث لم أتمكّن من البقاء والإشتغال بالعبادة كعادتي في كلّ ليلة، فرجعت من دون إختيار، بل بدافع من الوحشة والدهشة، ومطاردة من شبح الملكين المهيبين، وشرر من مرزبتيهما الناريتين.

رجعت أدراجي نحو المدرسة، وكأنّ أفواج الأهوال تطاردني، وأمواج البلايا تلاحقني، حتّى إذا وصلت إلى غرفتي سقطت مغشيّاً عليّ، ولم أفق من غشوتي إلاّ على صوت الأذان يعلو من مؤذّن المدرسة، وهو يعلن عن طلوع الفجر، ودخول الصباح، فنهضت لصلاة

الصبح وأنا متوتّر الأعصاب، مرعوب القلب، منهك الجسم، ممّا إضطرّني بعدها لمراجعة الطبيب، ومعالجة نفسيّتى المنهارة، وجسمى المتعب، وقلبى المثقل بالهموم والغموم، وحالتى المزرية المتعبة من معاينة ذلك المنظر الرهيب، وسماع الصوت المهيب، وبالفعل بقيت لمدّة ستّة أشهر اُعالج نفسى المريضة حتّى شفيت بإذن الله تعالى من التوتّر، ولكن لم يفارقنى هول ذلك المنظر ورعبه وذعره.
وكان كذلك، فانّى قد رأيت هذا العالم، والتقيت به مرّات عديدة، وعرفت منه ذلك، فانّه كان بحيث إذا رآه الإنسان، رآه كأنّه واله حزين، لا يفرح ولا يضحك إلّا ضحكاً سطحيّاً وقشريّاً كما هو عادة أهل المصيبة والعزاء، ويحقّ لمن يرى بعض مؤاخذات البرزخ، أو يسمع بها أن يكون كذلك.

(مع شارح العروة الشيخ الآملى)

نقل عن شارح العروة المعروف: الشيخ محمّد تقى الآملى وكان من علماء طهران، انّه ذهب أيّام شبابه إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم انّه قال: إرتقيت فى الدرس من السطوح إلى درس الخارج، ثمّ بدأت أحضر درس الميرزا النائينى (قدس سره)وكانت لى حجرة فى مدرسة الآخوند الكبرى.
وذات يوم من أيّام الشتاء وقد كان الجوّ شديد البرودة، وأنا فى الحجرة صلّيت صلاة الصبح وجلست مادّاً رجليّ تحت الكرسى من شدّة البرد، وملقيّاً على رجليّ اللحاف، تناولت القرآن لأتلوه، فجالت فى خُلُدى الفكرة التالية وهى: الجلسة التى أنا عليها خلاف الأدب مع القرآن، لكن حيث انّى كنت فى الحجرة وحدى، ولم يكن هناك أحد يرانى، ولم يوجد بنظرى ما هو خلاف إحترام القرآن حيث كان اللحاف قد غطّا رجليّ وسترهما، قلت: انّه ليس خلاف الأدب، وبدأت أتلو القرآن وأنا بتلك الحالة.
ثمّ لمّا أكملت تلاوة القرآن ذهبت أوّل طلوع الشمس لزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى روضته المباركة، وعندما دخلت باحة الروضة رأيت أحد العلماء الأتقياء ويدعى: السيّد جواد، جالساً فى ناحية منها، فذهبت إلى داخل الروضة وزرت، ولمّا أكملت الزيارة وعدت، مررت بالسيّد جواد المذكور وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام ثمّ نادانى وقال: اعلم أيّها الشيخ: انّ القرآن كلام الله العزيز، ولا يصحّ أن يقرأه الإنسان وهو مادٌّ رجليه، حتّى ولو كان الوقت شتاءاً وكانت رجلاه مغطّاة باللحاف.
قال الشيخ: فتعجّبت من ذلك أبلغ التعجّب، واستغربت أشدّ الإستغراب، حيث انّ السيّد قد أخبرنى بما لم يطّلع عليه إلّا الله وأنا، فانّى لمّا كنت أتلو القرآن لم يكن أحد معى فى الغرفة، كما انّى لم أقل ذلك لأحد أبداً.

الإلتزام باُمور أربعة

قال الشيخ الآملى: ذهبت الأيّام والليالى على هذه القصّة وأنا معجب بالسيّد، وكنت أترصّد الفرصة لألتقى به مرّة اُخرى، حتّى إذا حلّ الصيف وإشتدّ الحرّ فى النجف الأشرف، فتردّدت بين أن أعود إلى ايران لأجل الإصطياف فى قراها الباردة، والتخلّص من صيف النجف الحارّ، وبين أن أبقى فى النجف الأشرف لأجل الإستمرار فى الدراسة، ومواصلة التقدّم العلمى، ففكّرت فى أن أذهب إلى هذا السيّد العالم لأستخير الله فى أمرى عنده، فذهبت إليه ذات يوم أوّل طلوع الشمس، ودخلت عليه الدار وذهبت إلى غرفته، فرأيت عنده فى غرفته طالباً من طلّاب العلوم الدينية وهو يستنصحه، والسيّد يقدّم له النصيحة والموعظة قائلا له: لو انّ إنساناً عمل باُمور أربعة لمدّة ستّة أشهر، لرأى فى حياته شيئاً خارقاً، والأعمال الأربعة هى كالتالى:
۱ أن يذهب كلّ يوم إلى زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى روضته المباركة.
۲ أن يزور الإمام الحسين (عليه السلام) فى المناسبات المشهورة كالأربعين وغيره.
۳ أن يتجنّب عن كلّ المعاصى وبكل جدّ.
۴ أن يذهب لزيارة أهل القبور إلى وادى السلام فى النجف الأشرف كلّ ليلة جمعة مرّة.

قال الشيخ محمّد تقى الآملى: ثمّ انّ الطالب الذى كان ينصحه السيّد قام وخرج من عنده، ولمّا خلى المجلس التفتُّ أنا إلى السيّد وقلت له: وهل عملتم جنابكم بهذه الأعمال الأربعة؟

قال: نعم.

فقلت له: وهل رأيتم شيئاً غريباً؟

قال: قد رأيت.

قلت: وهل يمكنكم أن تذكروا لى جانباً منه؟

قال: نعم، لقد كنت قبل قليل فى المقبرة مشتغلا بزيارة القبور، فسمعت من أحد القبور نداءاً يقول لى: أيّها السيّد إذهب إلى الدار، فانّ الشيخ محمّد تقى الآملى سوف يأتى إليك لتستخير الله له فى أن يذهب فى هذا الصيف إلى ايران للإصطياف، أو يبقى فى النجف الأشرف ويواصل دراسته.

قال الشيخ محمّد تقى الآملى: فإزددت تعجّباً وإستغراباً، وعلمت انّ الإنسان المخلص لله سبحانه وتعالى، الزاهد فى حياته، قد يصل إلى ما لا يصل إليه أحد من الناس.

السيّد القمّى من أعلام القرن الرابع عشر

كان السيّد الحاجّ آقا حسين القمّى رحمة الله عليه علماً من أعلام القرن الرابع عشر الهجرى، وكان إلى جانب علمه الغزير متّقياً زاهداً، مقداماً مجاهداً، وقد رأيته اُستاذاً بارعاً أيّام الدرس فى حوزة كربلاء، وزاهداً عابداً أيّام الصيف فى سامراء، حيث كان يتشرّف بزيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام)وسرداب الغيبة فى النهار، وفى الليالى كان يذهب برفقة العلماء للمباحثة والنوم إلى الشطّية، وهى منطقة واقعة خارج البلد، يحوطها (نهر) سامراء إلاّ فى أحد أطرافها.

ثمّ انّه كان عند المنام هناك ودفعاً لأذى الحشرات والعقارب يتلو الآية التالية: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ()، إنّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ()، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ()) ثمّ يضرب بإحدى يديه على الاُخرى، والمعروف انّ القرائة بهذه الكيفية توجب عدم إقتراب الحشرات المؤذية من الإنسان، وعدم دنوّها إلى المكان الذى وصله صوت تلاوة القرآن، ثمّ كان ينام وحوله جماعة من العلماء الأعلام، كالسيّد الميلانى، والسيّد الوالد، والسيّد زين العابدين الكاشانى، والشيخ محمّد رضا الاصفهانى، والسيّد حسن القمّى ولده، وكنت أنا بخدمة والدى، وإلى غيرهم من العلماء، وفى الصباح كنّا نرى آثار الحشرات، كالخنفساء، أو العقارب أو ما أشبه ذلك، قريباً من المكان الذى كان قد وصله صوت تلاوة هذه الآيات المباركة من القرآن.

تمثال آية الله العظمى الحاج السيّد حسن القمّى (دام ظلّه)

نجل آية الله العظمى الحاج آقا حسين القمّى (قدس سره)

من ذكريات سامراء

وفى إحدى السنوات وأنا بخدمة والدى وفى صحبة الحاج آقا حسين القمّى (قدس سرهما) كثرت العقارب فى سامراء، حتّى انّه كان المنادى ينادى فى أزقّة سامراء وشوارعها: الجهاد الجهاد، فيجتمع الناس لقتل العقارب، وكان الناس يخافون من لدغ العقارب خوفاً شديداً، ويأخذون حذرهم منها، فانّ نوعاً منها كان إذا لدغ الإنسان مات الشخص من لدغها، علماً بأنّه كانت قد ظهرت هناك أنواع من العقارب منها: «جرّارة» و «شيّالة» و «طيّارة» ولذا لم يكن الناس يأمنون على أنفسهم من النوم على سطوح منازلهم مع انّ الهواء كان حارّاً شديد الحرّ، وإنّما كانوا ينامون فى الغرف المسدودة الأبواب، ويتحمّلون الحرّ الشديد، تحرّزاً من لدغ العقارب، التى قد لدغت بعض الناس وأهلكتهم، علماً أنّ الملدوغين كانوا قليليين جدّاً.

ثمّ إنّا لمّا كنّا نرجع من الشطّية إلى البلد في الصباح كنّا نشاهد العقارب الميّتة، التي قتلها الناس هنا وهناك، ومن العجيب جدّاً انّ العقارب لم تكن تظهر في النهار، وإنّما كانت تظهر في الليل فقط.

اللحظات الأخيرة من أيّام السيّد القمّي

وفي الأيّام الأخيرة من عمر السيّد القمّي، تمرّض السيّد رحمة الله عليه وذهب للمعالجة إلى بغداد، فزرته أنا في خدمة الوالد والسيّد الميلاني (رحمهما الله) في بغداد، وتفقّدنا حاله هناك، ثمّ رجعنا وبعد مدّة اُدخل المستشفى وتوفّي فيه، وقد نقل لي بعض من كان معه: انّ السيّد لمّا إشتدّ به المرض، وصار في حال الإحتضار، اُغمي عليه ثمّ أفاق من غشوته وقال لمن حضره بإلحاح وإصرار: أجلسوني أجلسوني.

فقلنا له: انّ حالتكم الصحّية لا تسمح لكم بالجلوس.

فأعاد علينا وبإصرار شديد قوله: أجلسوني أجلسوني.

فأجلسناه، فإذا به قد توجّه نحو باب الغرفة في المستشفى، ووضع يده على صدره بتواضع ووقار وقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين.

فعلمنا انّ السيّد القمّي قد سلّم على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يراه ويشهد حضوره عنده.

ثمّ توجّه السيّد نحونا والتفت إلى أولاده ووصّى بأن يدفنوه في النجف الأشرف، بعد ما كان قد وصّى بأن يدفنوه في كربلاء المقدّسة، ثمّ انطفأ نوره المبارك وفارقت روحه الدنيا رضوان الله تعالى عليه.

ثمّ انّ أولاد السيّد القمّي (رحمه الله) قاموا بتجهيز والدهم ونقلوه إلى مثواه الأخير، فأنزله في قبره ولده الأكبر السيّد مهدي القمّي، وواراه فيه رحمة الله عليه.

وبعد موت السيّد القمّي تشتّت العائلة وتفرّقت، حيث أخذ الغالب طريق ايران ورجعوا إلى بلادهم السابقة، وعلى أثر تشتّتهم تشتّت الحوزة العلمية، التي كان قد جمع شملها السيّد القمّي (رحمه الله) في كربلاء المقدّسة، ثمّ انّ السيّد الوالد (رحمه الله) قام بجمع شملها بعد ذلك، فتقدّمت وإزدهرت بالعلم والتقوى، فبلغ عدد رجال الدين فيها إلى ما يقارب ألف رجل دين، بين مجتهد وفقيه، وخطيب ومؤلّف، وما أشبه ذلك.

تمثال آية الله العظمى الحاج آقا حسين القمّي (قدس سره) وإلى يمينه آية الله العظمى الحاج السيّد ميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) وقد التقطت الصورة في سفرة لهما إلى ايران لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) في مشهد المقدّسة

إيثار السيّد القمّي ومواساته

كان السيّد القمّي (رحمه الله) كبقيّة مراجع الشيعة الفقهاء معروفاً بالإيثار والمواساة مع ضعفاء الناس، خاصّة رجال الدين منهم، وممّا يذكر في هذا المجال هو: أنّ أحد تجّار ايران جاء إلى كربلاء المقدّسة وزار السيّد القمّي في منزله وقد كنّا في خدمته، فقال بعد التحيّة والتعارف مقترحاً على سماحته: بأن يشتري لنفسه الدار التي كان يسكنها بالإيجار، فيسكنها بالملك وعليه ثمنها، ثمّ قدّم له الف دينار ثمناً للدار، لكن سماحته أبى أن يأخذها، علماً أنّ التاجر أخبر سماحته بأنّ هذا المال ليس حقوقاً شرعية، وإنّما هو هبة وهدية منه إليه، وكلّما أصرّ التاجر على الدفع أصرّ سماحته على الرفض والإمتناع قائلا: كيف أشتري الدار وكثير من الطلبة ورجال الدين لا دار لهم؟

فيئس التاجر من قبول السيّد إقتراحه، كما ورفض هو إقتراح السيّد بأن يأخذ الثمن ويصرفها في الفقراء، وأرجع أمواله إلى ايران.

هذا وقد استأجرنا نحن في زماننا بعد السيّد القمّي تلك الدار، وجعلناها مدرسة أهلية، تعني بالشؤون الدينية والأخلاقية للناشئة، وسمّيناها بمدرسة الإمام الصادق (عليه السلام)الأهلية، وبعد إنتقال المدرسة من تلك الدار المستأجرة، تمّ إستئجارها من قبل الشيخ

محمود دانش أحد علماء كربلاء المقدّسة، وإنتقل إليها، وامّا نحن فقد إنتقلنا إلى دار اُخرى كانت قد اُهديت إلينا، فجعلناها في الاُمور الخيرية، ونقلنا مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الأهلية إليها، وذلك لموقعها الجيّد، ومكانها الممتاز، فقد كانت في شارع قبلة الإمام الحسين (عليه السلام).

إستمرّت المدرسة في نشاطاتها الأخلاقية والدينية، حتّى استولى حزب البعث الكافر على العراق ودمّر كلّ الحوزات العلمية، والمدارس الدينية، فشرّد الأبرار، ونفى الأخيار، وقتل العلماء واغتال رجال الدين، وبدّل نعمة الله كفراً، وأحلّ قومه دار البوار، جهنّم يصلونها وبئس القرار، نجّى الله الشعب العراقي المسلم من كابوسه المخيف، وأنقذهم من شرّه، آمين ربّ العالمين.

تمثال سماحة آية الله العظمى السيّد ميرزا مهدى الشيرازى (قدس سره)

هذا وقد كان هناك العديد من العلماء الأعلام الذين كانوا في قمّة الأخلاق والإيثار كالسيّد القمّي نتطرّق إلى البعض منهم استطراداً وتتميماً للبحث واغناءً للموضوع، فمن أبرز هؤلاء العلماء هو:

الشيخ البلاغى معجزة الحوزات العلمية

من علمائنا الأعلام، الذين بزغوا في القرن الرابع عشر الهجرى، وأناروا ما حولهم بعلمهم وتأليفاتهم، هو: الشيخ جواد البلاغى رحمة الله عليه، انّه كان من العلماء الأوتاد الذين خدموا الإنسانية بجهدهم العلمى، وتقواهم العملى، لقد نقل لى والدى (رحمه الله) عنه ما يلى: قال انّ الشيخ البلاغى قبل إنتقاله إلى حوزة النجف الأشرف كان يواصل دراسته الدينية في حوزة سامراء، وكان الراتب الشهرى للطلبة في حوزة سامراء قليلا جدّاً، كما هى العادة في قلّة الراتب الشهرى بالنسبة إلى طلّاب العلوم الدينية في كلّ الحوزات العلمية حتّى يومنا هذا، وكان الشيخ البلاغى يصبر على قلّة راتبه، ويقتنع بشيء قليل من المأكل والملبس، ويجعل لذلك نصف مرتّبه، ويدّخر النصف الآخر ليقدّمه إلى يهودى كان يتعلّم منه اللغة العبرية، لغة التوراة القديمة، وذلك حتّى يرى ما هى النسبة بين التوراة المترجمة بالعربية، وبين التوراة الموجودة عند اليهود باللغة العبرية، ويعرف مدى صحّة الترجمة وأمانتها من زيفها وبطلانها.

نعم، هكذا قضّى الشيخ خيرة عمره، وريعان شبابه في هذا السبيل، حتّى تعلّم تلك اللغة الصعبة، وإكتشف بالفعل الفرق بين الترجمة والأصل، ونصّ على موارد الخيانة في الترجمة، وإنّى شاهدت بعض تلك الموارد في تأليفاته القيّمة، حيث يقول مثلا انّ في اللغة القديمة تزيد كلمة، أو تنقص كلمة ممّا يغيّر المعنى بالكامل، كأن يقلب النفى إلى إثبات، والإثبات إلى نفى.

ثمّ انّ الشيخ البلاغى بقى في بغداد مدّة كان يتعلّم فيها العلوم الرياضية الحديثة: من حساب وجبر وهندسة عند بعض المدرّسين، الذين كانوا يدرّسون في المدارس الحكومية الرسمية، وقد إشتغل بتعلّم الرياضيات لملاحظة بعض الاُمور الدينية، والأهداف الإنسانية، وقد ظهرت آثار هذا العلم في بعض كتبه أيضاً، ولا أعلم هل كان الشيخ يقدّم بعض راتبه الشهرى إلى هذا المعلّم أيضاً أم لا؟

وعلى كلّ حال: فقد ألّف الشيخ في النجف الأشرف تأليفات مفيدة للغاية، وجميلة جدّاً، رأيت جملة منها، كالرحلة المدرسيّة، والهدى إلى دين المصطفى، والتوحيد، والتثليث وغير ذلك، وهو حسب ما أعلم كان فريداً في هذه العلوم، وحيداً في هذا القرن الأخير.

مع مؤلّف كتاب إظهار الحقّ

نعم، لقد ظهر هناك من بين علماء الهند، عالماً عاملاً إنتهج نهج الشيخ البلاغى، ولكن لا ـ في كشف اليهود، بل في كشف المسيحيين، فقد ألّف كتاباً جميلا في هذا المجال وسمّاه: «إظهار الحقّ» وهو كتاب مطبوع وموجود في الأسواق. هذا وقد نقل لى ذات مرّة السيّد حسن آقا مير المشهور، صاحب كتاب «الإمامة الكبرى»: انّه كان يذهب إليه في داره في النجف الأشرف، وكان يراه (رحمه الله) في حرّ النجف الشديد يتجنّب النزول إلى السرداب ويقول: انّ النزول إلى السرداب يوجب الكسل للإنسان، ويؤخّره عن أعماله،

ويثبطه عن أداء واجبه، وإنّما كان يجلس فى غرفة من غرفات داره وكانت حارّة شديدة الحرارة، ويأخذ فى التأليف.

يقول السيّد حسن حاج آقا مير (رحمه الله): وكان العالم المذكور اُستاذى فى كتاب المكاسب، فقد درست بعضاً من مكاسب الشيخ الأنصارى (قدس سره) عنده، وقال أيضاً عنه: انّه كان مع جهده اللامنقطع وسعيه الحثيث مصاباً بمرض نفث الدم، ولكن لم يكن ذلك صادّاً له عن مواصلة أعماله، ومتابعة تأليفاته.

وقفة مع الشيخ الأنصارى (قدس سره)

ولا بأس أن نذكر هنا بالمناسبة ما ينقل عن الشيخ مرتضى الأنصارى رحمة الله عليه: من انّه حين كان فى النجف الأشرف، ما كان ينزل فى الصيف إلى السرداب، ويتحمّل حرّ النجف الأشرف الشديد ويقول: انّ النزول إلى السرداب يورث الترهّل والكسل، ويوجب تأخّر الإنسان عن عمله العبادى، ونشاطه العلميّ.

هذا مع انّ حرّ النجف كان شديداً لا يطاق، وانّى قبل ما يقرب من ستّين سنة، لمست بنفسى حرّ النجف فى أيّام الصيف، وتحسّسته بوجودى، فقد كان حرّاً شديداً جدّاً، ولذا كان الناس يذهبون إلى السراديب قبل الظهر، ويبقون فيه حتّى قبيل المغرب، ولم تكن تنفع الطبقة الاُولى من السرداب، ولا الثانية بل كانوا يذهبون إلى السّن، والسّن هى الطبقة الثالثة من السرداب.

فقد كان من المتعارف فى ذلك الوقت أن يهيّئوا للبيوت فى النجف الأشرف ثلاثة سراديب: سرداباً فى الطابق الأوّل من تحت الأرض، وسرداباً فى الطابق الثانى منه، وسرداباً أخيراً فى الطابق الثالث تحتهما، ويسمّى ذلك الأخير بالسنّ، ولعلّ سرداب السنّ فى مدرسة السيّد الطباطبائى صاحب العروة الوثقى (قدس سره) موجود إلى الآن فى النجف الأشرف، وان كان يحتمل انّ البعثيين هدّموه، كما هدّموا كثيراً من المراكز الشيعية، والمؤسّسات الخيرية والدينية فى العراق قهراً وعناداً.

نعم هكذا كان دأب علمائنا الربّانيين، فهم كانوا يُربّون أنفسهم على المصاعب للإستمرار فى أعمالهم، ويدرّبونها على المكاره للتداوم فى نشاطاتهم، وقد أنشأ الشاعر وهو يصف هذا المعنى فى نظمه بقوله:

ومن طلب العُلى سهر الليالى***وغاص البحر من طلب اللئالى

نعم، هكذا تكون سنّة الحياة، فانّ النتائج الطيّبة إنّما تترتّب على المقدّمات الشاقّة والصعبة، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل الأعمال أحمزها» () وقد اختلف فى معنى هذا الحديث إلى أقوال عديدة، فذهب بعض إلى انّ له هذا المعنى المذكور آنفاً.

وذهب آخرون إلى انّه الأعمّ من هذا المعنى المذكور.

وذهب ثالث إلى انّ معناه: أن يطلب الإنسان الأشقّ وهو متمكّن من الأخف، وإستدلّوا على ذلك بما كان يفعله الإمام الحسن (عليه السلام) من الذهاب ماشياً إلى الحجّ، والمحامل تساق بين يديه()، قالوا: فإذا دار أمر الإنسان مثلا بين أن يصلّى فى مكان بارد فى الصيف أو فى مكان حارّ، فالأفضل له أن يصلّى فى المكان الحارّ، وهكذا.

لكن يرد على هذا المعنى الأخير: بأنّ موضوع حجّ الإمام الحسن (عليه السلام)موضوع خاصّ، وقد ذكرنا الكلام حوله فى بعض كتبنا، كما يرد على المعنى الثانى بأنّه لا دليل عليه، فيبقى أن يكون الظاهر من هذا الحديث: «أفضل الأعمال أحمزها» هو ما ذكرناه أوّلا، وذلك لقوله سبحانه: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)()، ولقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يسّروا ولا تعسّروا» ()، فانّ أمثال هذه الأدلّة الدالّة على التيسير وعدم التعسير، تنفى أن يراد من الحديث المذكور، المعنى الأعمّ أيضاً، كما قال به القول الثانى.

الشيخ النخودكى اُعجوبة الزمان

نعم انّ الله يريد اليسر للناس عموماً، غير انّ هناك أصحاب النفوس القويّة، والقلوب المطمئنة، يتدرّبون على إختيار الأشقّ، وإنتخاب الأصعب، قربةً إلى الله تعالى، ومخالفة منهم لهوى أنفسهم، فينالون بإختيارهم هذا، الدرجات الرفيعة عند الله والكرامة لديه، لكن هذا

خاصّ بالنسبة إليهم، وامّا عامّة الناس فتشملهم أدلّة التيسير وهو أفضل لحالهم.

ومن اُولئك الخواص هو المرحوم الشيخ حسن على النخودكى، لقّب بالنخودكى لأنّه كان له بستان فى منطقة تعرف «بنخودك».

كان الشيخ النخودكى يتعب نفسه فى العبادة أيّما تعب، فقد نقل عنه أحد الثقاة قائلا: بأنّه كان يصلّى كلّ ليلة صيفاً وشتاءاً فى سطح الروضة المباركة للإمام الرضا (عليه السلام)، ويقوم بالعبادة فيه من أوّل الليل إلى الصباح، وفى ليلة من ليالى الشتاء، وكانت الثلوج تتساقط بكثرة من السماء، أقبل الشيخ كعادته وصعد إلى السطح وإستمرّ بالعبادة والصلاة، فقال سادن الروضة المباركة لبعض الخدمة: اصعد إلى السطح وانظر إلى الشيخ ماذا يصنع فى هذا البرد القارص، والثلج المتساقط من السماء، وكان ثلجاً كثيراً؟

قال: فصعد السطح، وإذا به يرى الشيخ فى حالة الركوع وانّ الثلج قد نزل على ظهره وتراكم بين كتفيه بما يقارب من نصف المتر وهو غير معتن به، ومستمرّ فى صلاته.

نعم، الأعمال الشديدة، والعبادات الكثيرة، إذا كانت فى سبيل الله سبحانه وتعالى، أوجبت للإنسان آثاراً طيّبة، وأكسبته مزايا حميدة، والشيخ حسن على (رحمه الله) من اُولئك الذين حصلوا على تلك الآثار والمزايا، وصار صاحب كرامات معروفة، وقد جمع بعض رجال الدين جملة من كراماته فى كتاب مستقلّ، وقد رأيته وطالعته فكان جميلا نافعاً.

من كرامات الشيخ النخودكى

نقل لى أحد الأصدقاء قصّة للشيخ حسن على وقعت بعد وفاته، ناقلا ذلك عن رجل كان قد تمرّض واشتدّ مرضه، وطال أمده، ولم ينفعه العلاج كلّما عالج، حتّى انّه يئس من مراجعة الأطبّاء فى داخل ايران وخارجها.

فذهب لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) طلباً للشفاء، وعندما تشرّف للزيارة مرّ فى طريقه على قبر الشيخ حسن على (رحمه الله)ففكّر فى نفسه أنّ الشيخ من الوجهاء عند الإمام الرضا (عليه السلام)ومن بوّابيه، حيث انّ قبره كائن على أعتاب مرقده الشريف، وفى بوّابة روضته المباركة، ولذا رأى أن يجلس على قبره، ويقرأ على روحه الفاتحة، وان يشفّعه عند الإمام الرضا (عليه السلام) فى طلب الشفاء له.

وبالفعل جلس على قبره، وبدأ يقرأ له الفاتحة، وسورة انّا أنزلناه، وبعض الآيات والأدعية ويهدى ثوابها إلى روحه، ثمّ أخذ يخاطبه ويقول له: أيّها الشيخ انّ لك عند الله تعالى وعند الإمام الرضا (عليه السلام) جاهاً كبيراً، ومنزلة رفيعة، وقد كنت أيّام حياتك تشير بإذن الله تعالى، وعناية من الإمام الرضا (عليه السلام) إلى المريض، فيُشفى من مرضه، ويعافى من علّته، وقد جئتك مريضاً على قبرك، آملا أن تشفع لى عند ربّك عزّوجلّ وعند الإمام الرضا (عليه السلام) فى شفائى، وأن تستأذنهما فى الإشارة بعافيتى.

قال: وفى هذه الأثناء وبينما أنا مشغول بمخاطبة الشيخ وإذا برجل أقبل نحو القبر وفى يده ورقة فسلّم علىّ وناولنى الورقة، فأجبت سلامه وأخذت منه الورقة، ولكن حيث انّه قطع علىّ ما كنت فيه من الحالة الحسنة ومخاطبة الشيخ ومحادثته، انزعجت منه كثيراً، وتصوّرت انّه من اُولئك المستعطين الذين يقدّمون سؤالهم فى أوراق يستعطون بها، فغضبت وطرحت الورقة جانباً، وإنشغلت بنفسى عنه.

ترك الرجل الورقة مطروحة على القبر وإنصرف، ولمّا إنصرف عُدت إلى نفسى، وندمت على فعلى، وقلت موبّخاً ضميرى ووجدانى: صحيح انّه قاطعنى، وأفسد علىّ أمرى، ولكن ما كان ينبغى أن اُجابهه بهذه الشدّة، وأضرب بورقته الأرض، ثمّ قلت فى نفسى: علىّ الآن أن أقوم وآخذ الورقة من الأرض وأرى ما كان سؤاله فيها؟ فقمت وأخذت الورقة ونظرت فيها، فإذا مكتوب فيها ما يلى:

أيّها المريض، راجع لعلاج مرضك الطبيب الفلانى، فى محلّة كذا وشارع كذا من مشهد المقدّسة.

فأدهشنى مضمون ما جاء فى الورقة، وندمت كثيراً من فعلى، وتأسّفت بشدّة على ما فات منّى، ثمّ قمت من على القبر واتّجهت نحو العنوان وسألت عن ذلك الطبيب، فدلّونى عليه، فراجعته وعرضت عليه حالى، فكتب لى دواءاً، فأخذته وإستفدت منه، فشوفيت بإذن

الله سبحانه وتعالى، وأمثال هذه الكرامات عند علمائنا الأبرار كثيرة جدّاً.

مع عَلَم من أعلام تبريز

نقل لى القصّة التالية سماحة الشيخ محمّد على السرابى، الذى كان من علماء كربلاء المقدّسة، ومن تلاميذ السيّد الحاج آقا حسين القمّى (رحمه الله) وقد قرأت عند هذا الشيخ الجليل بعض الدروس الحوزوية كالشرائع، وتفسير الصافى، وكان هو فى مدّة تواجده فى تبريز تلميذاً للشيخ ميرزا صادق آقا، المعروف بالزهد والتقوى، والنبل والكرامة.

قال: فى سنة من السنين كثرت حشرة «الساس» () فى تبريز، وكانت هذه الحشرة على صغر حجمها تؤذى الناس أذىً كبيراً.

وذات يوم كنّا عنده إذ جائه شاب وقال له: انّ والدى يسلّم عليك أيّها الشيخ ويطلب منك أن تجعل لنا علاجاً لهذه المشكلة: مشكلة «الساس» التى نحن مبتلون بها.

فقال الميرزا صادق آقا: اذهب إلى والدك وقل له: ليفرّغ إحدى الغرف الموجودة فى داركم ثمّ ليقف على باب الغرفة وليقل برفيع صوته: أيّها «الساس» انّ الميرزا صادق آقا يقول لكم: اخرجوا من هذه الغرفة.

فنقل الشاب: انّه أخبر والده بذلك، ففعل ما قال له الشيخ وقال تلك الكلمة على باب إحدى غرف الدار، وإذا به يرى حشرة «الساس» تخرج بكثرة هائلة من شقوق السقف، وثقوب الجدران، ومن كلّ زوايا تلك الغرفة، حتّى خلت الغرفة من «الساس» إطلاقاً، فأصبحت تلك الغرفة محلّ أكلهم ونومهم وسائر شؤونهم، حتّى إنقضى فصل «الساس» وإختفت هذه الحشرة من المدينة بالكامل.

فى طريق كردستان

نقل لنا أحد الأصدقاء قائلا: التقيت فى زمان البهلوى الأوّل فى مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) بضابط عسكرى من ضبّاط جيش البهلوى وعليه آثار التديّن، وفى وجهه سيماء الصالحين، وله حالة العبّاد والناسكين، فتعجّبت من تلك الحالة، ودنوت منه وسلّمت عليه وقلت له: انّ حالتك الحسنة تتنافى مع ملابسك العسكرية، من أين حصلت على هذه الحالة؟

فأجاب قائلا: صحيح ما قلت: انّ حالتى تنافى ملابسى، وذلك لأنّ لى قصّة مع الميرزا صادق آقا، هى التى سبّبت لى هذه الحالة.

قلت: وكيف؟

قال: لقد أمرنى البهلوى أنا مع أربعة من ضبّاطه، بتبعيد الميرزا صادق آقا من تبريز إلى كردستان ايران ونحن لا نعرفه، فذهبنا إليه بعد التعرّف عليه فى وقت العصر، وألقينا القبض عليه وذلك فى قصّة طويلة، ثمّ أركبناه فى السيّارة العسكرية التى نستقلّها، والتى كنّا قد أعددناها لهذه المهمّة، وأحطنا نحن الأربعة به، وكان خامسنا السائق، وأخذنا نتوجّه بسرعة نحو المحلّ المقصود.

فصار وقت الغروب وكنّا فى السيارة، ونحن نستهزىء به ونضحك منه، وهو لا يتكلّم بشىء إلّا بذكر الله سبحانه وتعالى، وبينما نحن كذلك إذا به التفت إلى السماء، فلمّا رأى ظلمة الهواء قال لنا: انّ الغروب قد حان وهذا وقت صلاة المغرب، فأذنوا لى أن أنزل من السيارة لأُصلّى، فانّى فى أيديكم ولا أتمكّن من الفرار.

فضحكنا عليه واستهزئنا به ولم نأذن له بذلك.

ثمّ أعاد علينا هذا الكلام ثانية فكرّرنا الإستهزاء به، وفى المرّة الثالثة قال لنا مهدّداً: إن لم توقفوا السيارة عن المسير لأجل الصلاة، فهناك من يوقفها.

قال هذا الكلام بامتعاض وسكت، وإذا بنا نرى انّ السيارة قد توقّفت من حينها، فتعجّبنا تعجّباً كبيراً، ونزلنا من السيارة لنرى ما الذى أصابها من عطل؟ وأى شىء حدث فيها وما هو سبب وقوفها؟ ففحصنا كلّ موضع كنّا نحتمل وجود العطب فيه فلم نجد شيئاً، ووجدنا السيارة سالمة كاملة.

وفى أثناء إشتغالنا بفحص السيارة، نزل الميرزا صادق آقا من السيارة، وكان على وضوء، ففرش عبائته فى الصحراء إلى حيث القبلة حسب ما يظهر من السماء وصلّى الصلاتين: المغرب والعشاء بفارغ البال، وبعد الصلاتين لبس عبائته وجاء ودخل السيارة ثمّ التفت إلينا وقال: انّ السيارة تتحرّك الآن بلا تكلّف فتفضّلوا.

قال: فركبنا وشغّلنا المحرّك وإذا بنا نرى انّ السيارة تحرّكت وكأنّه لم يصبها شىء، فتعجّبنا من ذلك أشدّ التعجّب وعرفنا انّ لهذا الشيخ منزلة كبيرة عند الله تعالى، فصحبناه فى بقيّة الطريق مؤدّبين، ولم نتكلّم أمامه تأدّباً وإحتراماً، وهيبة وإجلالا له، حتّى أوصلناه إلى كردستان وسلّمناه إلى المسؤولين هناك ورجعنا.

ثمّ انّه ريثما رفع عنه التبعيد، جاء إلى قم المقدّسة وبقى فيها مشتغلا بالدرس والتدريس، حتّى توفّى ودفن فى جوار السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

الموقف الرافض

وممّا ينقل عنه من مواقفه الشجاعة: انّه فى المدّة التى كان فى قم، جائه ذات مرّة وزير البهلوى، وطلب منه أن يستعدّ لملاقاة البهلوى، وذلك بعد أن أخبره بأنّ البهلوى يريد زيارته، لكن الميرزا صادق آقا رفض طلبه، وأبى من ملاقاته.

فقال له الوزير: انّ هذا يشكّل خطراً عليك.

فأجابه بكلّ صلابة قائلا: فليكن، انّه ليس عليك إلاّ أن تخبر البهلوى بأنّى غير مستعدّ لملاقاته إطلاقاً، فذهب ولم يرجع بعد ذلك إليه.

هذا والكلام فى هذا المجال كثير، ولكنّا حيث أردنا أن نكتب عن مدينة قم المقدّسة، ومكانتها الحضارية ماضياً وحاضراً، فضّلنا أن نذكر خصائص بعض رجال الدين من العلماء الأعلام، المتخرجين من الحوزة العلمية فى قم المقدّسة وغيرها، ليكون مدخلا كريماً إلى ما نريد كتابته فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى، والله المستعان، وهو الموفّق للصواب.

فصل الموقع الجغرافى لمدينة قم المقدّسة

فصل الموقع الجغرافى لمدينة قم المقدّسة

انّ مدينة قم المقدّسة هى إحدى المدن الكائنة بمحاذاة صحراء ملحية قاحلة، وتبعد هذه المدينة المقدّسة الواقعة غرب بحيرة ملحية مسافة ما يقرب من مائة وخمسين كيلومتراً عن طهران العاصمة، كما انّها تقع على هضبة ترتفع بمقدار تسع مائة متراً وثلاثة أمتار عن سطح البحر.

يحدّها من الشمال الرى وطهران، ومن الجنوب كاشان ومحلاّت، بينما تحدّها تفرش وساوه من جهة الغرب، وصحراء ملحية قارّة من الشرق.

هذا وتعتبر مدينة قم المقدّسة ملتقى لعدد كبير من مدن ايران، ورابط حسن بين أطرافها المترامية، لذلك فهى تحظى بأهميّة فائقة من ناحية الإتّصالات، وهى عين الأهميّة التى كانت تتمتّع بها سابقاً، حيث كانت ميداناً لعبور الجيوش ابّان الحروب، وكذا لمرور القوافل ابّان السلم والهدوء.

وكانت مدينة قم المقدّسة تعدّ فى العصور القديمة من مدن الأجزاء الشرقية لولاية الجبل، أو عراق العجم، ويعزى ذلك إلى انّه فى القديم، كان يطلق على النواحى الجبلية الواسعة التى تحدّ غرباً بمنطقة بين النهرين، وشرقاً بصحراء ايران الشاسعة، والتى كانت تضمّ عدّة مدن اسم: ولاية الجبل، أو عراق العجم.

وقد ألّف المؤرّخ الجليل الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى كتاباً تحت عنوان «تاريخ قم» وضعه باسم الوزير البويهى الشيعى، الأديب

المعروف الصاحب بن عبّاد وذلك فی سنة ثلاثمائة وثمان وسبعین هجریة، وهو یقع فی عشرین باباً().

تسمیة قم

هنالك آراء مختلفة، وأقوال متعدّدة، حول تسمیة أرض قم بهذا الإسم، نشیر إلی بعض منها كالآتی:

الرأی الأوّل

انّ وجه التسمیة هو ما جاء فی الخبر: من انّ رسول الله (صلی الله علیه وآله)رأی فی لیلة المعراج وهو فی طریقه إلی السماء إبلیس جالساً فی هذا المكان، واضعاً رأسه بین رجلیه، فصرخ (صلی الله علیه وآله) به قائلا: «قم یاملعون» ومن ذلك اُطلق علی هذه الأرض اسم: «قم».

الرأی الثانی

انّه اُطلق علی هذه البقعة الحالیة اسم: «قم»، لإنخفاض سطحها إذا ما قورن بالسطوح الأرضیة المحاذیة لها، وعلی أثر هذا الإنخفاض صارت تختزن میاه أنهار تلك المناطق فی أرضها، وكلّ أرض تختزن میاهاً، أو بقعة یتجمّع فیها الماء، یطلق علیها اسم: «قم» كما یطلق علی الأداة التی تختزن الماء اسم: «قمقمة».

الرأی الثالث

انّه علی أثر ورود میاه أنهار المناطق المجاورة إلی هذه المنطقة، نمت فیها النباتات والأعشاب، وكذلك كثرت الأشجار أطراف تلك الأنهار، حتّی ظهرت كغابة كثیفة، ممّا جعل الرعاء یقصدونها من كلّ حدب وصوب لرعی مواشیهم، وحیث إنّهم كانوا یقطنون تلك المنطقة لمدّة طویلة، أخذوا یبنون لأنفسهم فیها بیوتاً من الأخشاب وجذوع النخل، وكان یطلق عندهم علی هذا النوع من البیوت اسم: «كومه» ثمّ تغیّر اللفظ مع مرور الزمان حتّی تحوّل إلی: «كُم» وبالتالی عرّبها المسلمون الذین قدموا إلیها، فأطلقوا علیها اسم: «قم».

الرأی الرابع

قیل: انّ فی تلك البقعة عین ماء نضّاخة باسم: «كُب» وكان ماؤها یجتمع فی منطقة قم الحالیة، وقد عرف النهر الذی كان ینبع من تلك العین باسم: «كُب رود» ویقال لها بالعربی: «قم رود» فاُطلق علی هذه المنطقة بسبب وجود هذا النهر المسمّی: «قم رود» اسم: «قم».

الرأی الخامس

یقال: انّ الشخص الذی بنی مدینة قم كان یدعی: «قم ساره بن لهراسب» فسمّیت طبقاً لإسمه باسم: «قم».

الرأی السادس

قیل: انّ المسلمین الأشعریین (وهم طائفة من الشیعة كانوا یقطنون الیمن، ثمّ المدینة المنوّرة والكوفة، وقد إضطرّوا للهجرة منها فارّین من ظلم بنی اُمیّة) حین قدموا إلی قم بنوا فیها سبعة قری متجاورة، ثمّ اتّسعت هذه القری شیئاً فشیئاً، حتّی تداخل بعضها مع بعض،

وأُطلق عليها جميعاً اسم إحدى القرى وهو: «كميدان» ثمّ تبدّل الإسم إلى «كُم» وأصبح بالتالى «قم».

الرأى السابع

قيل: انّ اسم «قم» قديماً كان: «قوآناً» أو «كوآناً»، وقد روى عن ياقوت: انّ هذه المدينة كانت تدعى قديماً: «كمندان» ويقال: انّ إسمها فى أواخر العهد الساسانى كان: «ويران ابادان كرد كواد» والمقصود بكواد هو: قباد، الملك الساسانى، لأنّ قباد هو الذى أعاد بناء هذه المدينة بعد أن تهدّمت فى عصر الاسكندر، ثمّ تحوّلت تدريجيّاً إلى اسم «قم».

الرأى الثامن والأخير

روى عقان البصرى عن الإمام الصادق (عليه السلام) انّه قال: «إنّما سمّيت هذه البلدة قم لأنّ أهلها يجتمعون حول قائم آل محمّد (صلى الله عليه وآله)وينصرونه» (). وإلى غير ذلك من الآراء والأقوال المنقولة فى وجه تسمية هذه الأرض باسم: «قم».

قم وعراقتها فى عصر ما قبل التاريخ

كما اختلفت الآراء فى وجه تسمية قم، فكذلك اختلفت فى حدوث مدينة قم وقدمها، فذهب البعض إلى انّها تأسّست بعد الإسلام، بينما ذهب البعض الآخر إلى انّها كانت موجودة قبل العصر الإسلامى.

فمثلاـ يعتبر علماء الآثار انّ اُولى المناطق وأعرقها هى الأطراف الغربية للصحراء الايرانية، ويعنون بذلك: «قم وكاشان وساوه» وقد أرسى الناس الذين استقرّوا هناك دعائم الحضارة فيها.

وعليه: فإذا اتّفقنا مع هذا الرأى نقول: بأنّ عراقة قم والمناطق المتّصلة بها تعود لما قبل بضعة آلاف سنة، ممّا يشير إلى أنّ قِدم قم يرجع إلى ما قبل التاريخ.

كما ويقول من يعتقد بنشوء مدينة قم قبل الإسلام أيضاً: انّها قد حظيت نوعاً ما بإهتمام الملوك والحكّام القدماء، ممّا جعل بعضهم يحرص على بنائها أو إعادة ترميمها، وفى ذلك قال حمد الله المستوفى: انّ مؤسّس هذه المدينة هو: طهمورث ديوبند، وهو أحد الملوك الإيرانيين.

هذا وقد نسب البعض تأسيس هذه المدينة إلى الملك الإيرانى المعروف بصيد الجحوش البريّة: بهرام.

ونسب آخرون تأسيسها إلى الملك الساسانى قباد، وذلك حين توجّه لجماعة الهياطلة، فانّه مرّ بهذه المنطقة المتهدّمة، التى لم يكن يبقى منها إلاّ الأطلال، فسأل عن سبب خرابها، فتبيّن أنّها خربت ابّان عصر الاسكندر، فأمر باعمارها حين رجع من هناك.

ويقال: انّ مدينة قم كانت عامرة وغنّائة، ذات مراعى شتّى فى العصور الغابرة، وهذا ما جعلها تحظى بعناية الملوك قبل الإسلام، الذين اتّخذوها بمثابة منطقة سياحية لأنفسهم، ومرعى لفرسانهم، ولقد بقيت بعض آثار قم القديمة حتّى العصر الإسلامى، ومن تلك الآثار المتبقّية: ما عثر عليه من معبد نار فى زمان الحجّاج بن يوسف الثقفى حيث أمر بهدمه، وكان من معابد النار فى عصر ما قبل الإسلام، بل قيل: انّه تمّ العثور فى العقود الأخيرة على معبد نارى قرب مدينة قم ويدعى «قلعة دختر».

وقال بعض المتأخّرين فيما يرتبط بتاريخ قم إلى ما قبل الإسلام أيضاً: «لقد كانت قم كمدينة آهلة بالسكّان لعدّة قرون قبل الإسلام، وقد أورد المؤرّخون أسماء بعض سلاطين ذلك العصر».

ولقد جاء ذكر قم أيضاً ثلاث مرّات فى منظومة الفردوسى سير الملوك، ممّا جعل القائلين بعراقة قم يعدّونه دليلا على وجودها فى عصر ما قبل الإسلام.

هذا بعض آراء القائلين بعراقة قم وقدمها فى التاريخ، وهناك من المؤرّخين الذين لا يوافقون آراء القائلين بأنّ قم كانت موجودة فى

عصر ما قبل الإسلام، وإنّما يعتقدون بأنّها نشأت ابّان العهد الإسلامی، ولم تكن قم آنذاک إلّا منطقهٔ شهدت بعض العمران، بحيث لم تكن مدينهٔ حسب عرف ذلک الزمان، بل كانت تفتقر حتّی للإسم، إلّا انّ المسلمين الأشعريين، الذين هاجروا إليها أطلقوا عليه اسم قم، وذلک بالإستناد إلی كلمهٔ: «كُم» علی ما مرّ بيانه سابقاً، ولا حاجهٔ بنا للتطويل.

فتح المسلمين لمدينهٔ قم

لقد فتحت قم واصفهان ابّان فتح المسلمين ايران، حيث كانت قم تابعهٔ آنذاک لاصفهان، وذلک فی سنهٔ ثلاث أو أربع وعشرين للهجرهٔ، علی هاجرها آلاف التحيّهٔ والسلام، وذلک فی قصّهٔ تاريخيهٔ معروفهٔ.

قم ولجوء الشيعهٔ الأشعريين إليها

يعتقد المؤرّخون القائلون انّ تأسيس مدينهٔ قم يعود للعهد الإسلامی: بأنّ هذه المنطقهٔ إنما اعتبرت كمدينهٔ بحسب الإصطلاح المتعارف عليه آنذاک، وصارت فی عداد المدن المعروفهٔ والواسعهٔ فيما بعد، بسبب هجرهٔ القبائل الأشعريهٔ الشيعيهٔ إليها، وسكناهم فيها، علماً بأنّ الأشعريين هم قبيلهٔ من قبائل العرب التی لم تكن مواليهٔ لخلفاء بنی اُميّهٔ وولاتهم، فكانت معرّضهٔ لمطاردتهم ومضايقاتهم دائماً، وعلی أثر ما تعرّضوا له من الجور والتعسّف من قبل ولاهٔ بنی اُميّهٔ، هاجروا إلی ايران أواخر العقد الأخير من القرن الأوّل الهجری، واستقرّوا فی قم وفی أطرافها.

نعم، انّ الذی دعی الشيعهٔ الأشعريين للهجرهٔ إلی ايران والبقاء فی قم، هو: ولاؤهم لأهل البيت (عليهم السلام)، فهو الذی عرّضهم لسخط بنی اُميّهٔ وغضبهم، أمّا العلّهٔ الرئيسيهٔ التی دعتهم للهجرهٔ، فقد اختلف المؤرّخون فيها، حتّی عدّ بعضهم انّ تلک العلّهٔ الرئيسيهٔ التی سبّبت لهم الهجرهٔ مرتبطهٔ بقيام زيد بن علی، وعدّ بعضهم إرتباطها بسائر النهضات والحركات التی قامت ضدّ الحكم الاُموی.

وكيف كان: فانّ السبب العامّ للهجرهٔ، والقاسم المشترک بين كلّ الأسباب، هو: انّ تلک القبيلهٔ كانت معتنقهٔ لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومعاديهٔ للاُمويين ولعملائهم مثل: عبيدالله بن زياد، والحجّاج بن يوسف، وذلک هو الأمر الذی اضطرّهم للهجرهٔ ومغادرهٔ بلادهم الأصيلهٔ.

إستقبال تاريخی حافل

قال المؤرّخون: انّ الشيعهٔ الأشعريين من المسلمين حين وصلوا إلی قم، استقبلوا إستقبالا حارّاً وحافلا من قبل أهالی المنطقهٔ، الذين كانوا يؤمنون بالزردشتيهٔ كدين لهم، ولعلّ أوجه ما ذكر فی أسباب ذلک الإستقبال هو: تقويّهم بهم، فانّهم كانوا كثيراً مّا يتعرّضون لهجمات كاسحهٔ من قبل سكنهٔ الغابات الديلميين المتواصلهٔ، حيث ذكر المؤرّخون: انّ أهالی الديلم كانوا يشنّون الغارات المفاجئهٔ علی منطقهٔ قم وأطرافها، ويكتسحون كلّ شیء يعثرون عليه فی طريقهم.

وعليه: فانّ دخول مجموعات قادرهٔ علی حمل السلاح، والوقوف بوجه تلک الهجمات الشرسهٔ، أمر أثار فيهم السرور والأمل، وهذا ما جعلهم يهبّون مسرعين لإستقبالهم والترحيب بهم.

وامّا الإستقبال الحاشد، (بالإستناد للروايات التاريخيهٔ) فهو كما قيل: انّ أهالی قم الأصليون عقدوا إحتفالا ضخماً بقيادهٔ رؤسائهم خارج المدينهٔ، وفی الأثناء رمقوا قوافل كثيرهٔ وأفواجاً من الناس تُقبل نحوهم، فأرسلوا إليهم بعض أفرادهم لمعرفهٔ هويّتهم، والإطّلاع علی مقصدهم، فتبيّن انّهم من المسلمين العرب، والشيعهٔ الأشعريين، الذين فرّوا من ظلم الاُمويين، وهم يقصدون بلداً يأمنون فيه، عندها عزم المحتفلون بقيادهٔ رؤسائهم أن يستقبلوهم، ويعرضوا عليهم النزول فی بلدتهم، وأن يوفّروا لهم كلّ مستلزمات البقاء، وأوّليات الحياهٔ.

وبالفعل قاموا إليهم، واستقبلوهم أعظم استقبال، ورحّبوا بهم أشدّ ترحيب، حتّى انّهم نثروا الزعفران على رؤوسهم، وعرضوا عليهم البقاء فى بلدهم، وحين وصل قائدا الأشاعرة: عبدالله والأحوص، مدينة قم تعاهد مع رؤسائها على أن يعيشوا معاً بسلام ووئام، وأن ينصر كلّ منهما الآخر.

وشيئاً فشيئاً أخذ المسلمون يتقاطرون من كلّ حدب وصوب على قم، واشتغلوا فيها بإحياء الأراضى الموات، وأحدثوا كثيراً من المزارع والبساتين، وبنوا القرى والأرياف، حتّى انتهى الأمر إلى إستقرارهم وقوّة نفوذهم، وهذا الأمر لم يهيىء الأرضية المناسبة لهجرة المسلمين إلى هناك فحسب، بل جعل من قم محلا آمناً للطالبيين والعلويين، حيث كان مذهب المسلمين الأشعريين وكما أشرنا سابقاً هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا ما جعلهم يقفون جنباً إلى جنب مع العلويين القادمين فيما بعد إلى قم، ويمدّونهم بكل أسباب الحياة.

وعليه: فانّ إستقرار المسلمين الأشعريين فى قم، كان عاملا مهمّاً من بين العوامل، التى جعلت أنظار العلويين تتّجه نحو هذه المدينة المقدّسة، مضافاً إلى انّ وجود كثير من العلماء الشيعة الأشعريين، الذين كانوا يعيشون بين صفوفهم، كانوا قد جنّدوا أنفسهم لتبليغ الإسلام، وهداية غير المسلمين من الزردشتيين وغيرهم إلى الإسلام والتشيّع، ممّا سبّب إنتشار الإسلام، وإزدهار مذهب التشيّع فى قم، وفى غيرها من البلاد المجاورة.

نقض المعاهدة

ذكرنا انّ الأشعريين الشيعة من أجل ولائهم لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعدم تسليمهم للخلافة الاُموية، كانوا مطاردين من قبل الاُمويين، حتّى اضطرّوا أخيراً للهجرة إلى قم، ثمّ عقدوا اتّفاقية صداقة وتعايش مع أهل قم الأصليين الذين كانوا من الزردشت، ووقّعوا على أن يقدّم كلّ منهم العون والنصر للآخر، ولم يحدث أى خلاف بين الطرفين ما دام الموقّعون الرئيسيون لتلك المعاهدة كانوا على قيد الحياة.

إلّا انّ الزردشتيين وبعد وفاة رؤسائهم دبّ فيهم داء الاُمم المدمّر من: قِصر النظر، وضيق الصدر والحسد، فحسدوا المسلمين الأشعريين على تقدّمهم العلمى والفكرى، وضاقت صدورهم الحرجة عن أن يتحمّلوا عددهم المتزايد، وقوّتهم المتنامية، وقصرت أنظارهم عن رؤية ما بهم من خير وعافية، وسعة وغنى، وغاب عن أذهانهم أن تقدّم هؤلاء هو تقدّم لهم أيضاً، وان كثرة عددهم وتنامى قوّتهم يزيد فى شوكتهم ومنعتهم أيضاً، وانّ خيرهم وعافيتهم وسعتهم وغناهم، هو خير لهم وعافية وسعة وغنى أيضاً، إذ كلّما كبرت البلاد وكثر الناس، إزدهر الإقتصاد ونمى، وانتفى الفقر وانزوى.

نعم، انّهم نسوا وتناسوا كلّ ذلك، فنقضوا العهد والميثاق الذى كان بينهم، كما انّهم نسوا وتناسوا انّ هؤلاء المسلمين هم الذين وقفوا بوجه الهجمات الوحشية، التى كان يشنّها الديلم عليهم بين آونة واُخرى، وهم الذين أراحوا المنطقة من شرّهم، وهم الذين سبّبوا تقدّم قم وإزدهارها، فانّهم مع كلّ ذلك نقضوا العهد وعزموا على إخراجهم، فكتبوا إلى أحد رؤساء الأشعريين ويدعى باسم عبدالله ما يلى: «لقد سئمنا مجاورتكم، ولا نرغب ببقائكم، فاجمعوا أمتعتكم وانطلقوا إلى مكان آخر».

فلمّا وصل الكتاب إلى عبدالله، التقى بهم وذكّرهم بالعهد قائلا: «ما هى اساءتنا بحقّكم؟ وما الذى نقمتموه منّا حتّى سئمتم مجاورتنا لكم؟ فان كان هناك ما يسؤوكم أصلحناه».

فلم يكن جوابهم إلّا الإصرار على خروجهم، ممّا أدّى إلى تفاقم الخلاف بينهم، واشتداد النزاع عندهم، وبعد شجار مرير، وفى قصّة طويلة، كان الإنتصار أخيراً للمسلمين والإنتكاس للزردشتيين، لأنّهم نقضوا العهد وبغوا على المسلمين، فأصبحت السيادة الكاملة على قم للمسلمين. عندئذ كتب المسلمون إلى اخوانهم فى الدين، من الشيعة المضطهدين فى العراق وغيرها، يدعونهم للهجرة إلى قم، ويرغبونهم فى السكن بها، ويخبرونهم عن الأمن والأمان، والنقاء والصفاء المتوفّر فى قم، ممّا جعل قم تزدهر بتوافدهم عليها ازدهاراً

أكبر، وتتّسع بقدومهم إليها اتّساعاً أكثر وأظهر.

قم عند الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)

لقـد عـانى العلويون والشـيعة، الأـمرّين من جور الحكّام، وخاصّـة من خلفاء بنى اُميّـة وولاتهم، وخلفاء بنى العبّاس وعمّالهم، وتعرّضوا لنقمتهم ومطاردتهم، ونفيهم وملاحقتهم.

فجَوْر الخلفاء وظلمهم من جهـة، ونشـر الإسـلام ومـذهب الحقّ (مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)) من جهة اُخرى، كانا وراء تركهم لأوطانهم، وهجرتهم إلى بلاد الجبل وغيرها من المناطق النائية، الأمر الذى جعلهم يفضّلون ايران على غيرها، وبالأخصّ مدينة قم.

وهـذا مـا جعل من قم مدينـة ذات منزلـة رفيعـة عنـد المعصومين (عليهم السـلام)، وقـد ورد مـدحها والإشارة إلى فضـلها فى كلماتهم (عليهم السـلام)، ناهيـك عن إحترامهم الكبير لهـذه المدينـة حتّى قبـل ظهورهـا وإشـتهارها، ولعلّ مردّ ذلك يعزو إلى علمهم الإلهى الـذى وصـل إلى رسول الله (صـلى الله عليه وآله) بـالوحى، وإلى أهـل بيته (عليهم السـلام)بإخباره لهم بأنّها سوف تكون ملجأً وملاذاً للعلويين والشـيعة، وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله (صـلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السـلام) فى فضل قم، نذكر بعضاً منها:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال: «لأنّ أهل قم شيعتى وشيعة وصيّى على ابن أبى طالب (عليهما السلام)» ().

وعن أبى عبدالله (عليه السلام): «إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها فانّ البلاء مدفوع عنها» ().

وعن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: «قرية قم مقدّسة وأهلها منّا ونحن منهم» ().

وقال (عليه السلام) أيضاً: «انّ لنا حرماً وهو بلدة قم» ().

وروى عن الأئمّة (عليهم السلام): «لولا القمّيون لضاع الدين» ().

وعن الإمـام الصـادق (عليه السـلام): «تربـة قم مقدّسـة وأهلهـا منّا ونحن منهم، لاـ يريـدهم جبّار بسوء إلاّ عجّلت عقوبته ما لم يخونوا اخوانهم، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم جبابرة سوء، أما إنّهم أنصار قائمنا ودعاة حقّنا، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ اعصمهم من كلّ فتنة ونجّهم من كلّ هلكة» ().

وعن أبى الحسن الأوّل (عليه السلام): «قم عشّ آل محمّد ومأوى شيعتهم» ().

وإلى غير ذلك من الروايات الكثيرة فى فضل قم وأهلها.

الشيعة والتشيّع فى قم

لقـد انتشـر الإسـلام والمـذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)فى مدينة قم، منذ الأيّام الاُولى من دخول الإسـلام إلى ايران، وذلك على أثر قدوم المسلمين الأشعريين إلى قم، وقيام علمائهم بالتبليغ فيها، بحيث أصبحت بمثابة مركز للتشيّع فى ايران، ثمّ أخذت تقوى شوكة هذا المركز، تبعاً لتنامى عدد الشيعة وإزديادهم فيها، حتّى إكتسبت شهرة لا يستهان بها فى ايران خلال نصف قرن.

وهـذا ما جعل قم من المـدن التى تشدّ إليها رحال الشـيعة، وذلك من كلّ أطراف البلاد الإسـلامية، التى ظلّت تئنّ تحت وطأة الحكّام الظالمين.

نعم حين إشـتهرت قم بكونها مركزاً للشـيعة، وعلم العلويون والشـيعة من أتباع أهل البيت (عليهم السـلام) باسـتقرار الشـيعة الأشـعريين فيها، توجّهوا إليها ناجين بأنفسـهم من مطاردة الحكّام الظالمين، حاملين على عواتقهم مهمّة تبليغ الإسـلام، وإيصال مذهب أهل البيت (عليهم السـلام) إلى ما يسعهم إيصاله من العالم، وبعد وصول هؤلاء العلويين والشيعة إلى قم، أصبحت قم منطقة متمحّضة فى التشيّع، ومدينة شيعية صرفة، بحيث أصبح الإنتماء إلى قم يساوى الإنتماء إلى التشيّع، وبعبارة اُخرى: انّ كلّ من كان يسكن قم كان يعدّ شيعيّاً

معتنقاً للمذهب الحقّ: مذهب أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

السيّدة المعصومة (عليها السلام) في قم

لقد تزايدت الهجرة إلى ايران بصورة عامّة، ونحو قم بصورة خاصّة، وخاصّة من العلويين، وذلك أثناء تواجد الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان، فانّ المأمون لمّا إقتضت سياسته الشيطانية إستدعاء الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان، وإستبقائه عنده وتحت نظره، بحجّة تفويض ولاية العهد إليه، شقّ على ذويه وأرحامه، وكذلك على شيعته ومحبّيه، إفتقادهم له، وإبتعاده عنهم، فراسلوا الإمام الرضا (عليه السلام) وكاتبوه في أن يأذن لهم بزيارتهم له، وفي مقدّمة اُولئك الذين استأذنوه في الزيارة: شقيقته السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، فأذن لهم عامّة، كما انّه أذن لشقيقته بصورة خاصّة.

فشدّت السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) الرحال لزيارة شقيقها الإمام الرضا (عليه السلام)، وذلك في سنة مائتين وواحد للهجرة، أي: بعد سنة كاملة من استدعاء المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان، وكان بصحبتها جماعة من النسوة والرجال، من ذويها وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) ومحبّيهم، واتّخذت (عليها السلام)طريقها إلى ايران من الطريق الذي يمرّ بمدينة ساوه وقم، أي: من نفس الطريق الذي مرّ به قبل سنة تقريباً شقيقها الإمام الرضا (عليه السلام) في طريقه إلى خراسان.

فلمّا وصلت السيّدة المعصومة (عليها السلام) إلى ساوة، تمرّضت، وكان سبب مرضها (عليها السلام) كما في التاريخ انّ المأمون كتب إلى عمّاله أن يدسّوا لها السمّ الفتّاك في طعامها، فأثّر ذلك السمّ فيها، وضعفت عن مواصلة سفرها إلى خراسان، ولمّا أحسّت بالخطر، سألت (عليها السلام) من معها عن مقدار المسافة الباقية إلى قم، فأجابوها قائلين: عشرة فراسخ، فطلبت (عليها السلام) ممّن كان معها أن يوصلوها إلى قم حيث كانت (عليها السلام) مطلّعة على قداسة أرض قم، وعارفة بتشيّع أهلها وإعتناقهم للمذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ولذلك آثرت قم على ساوة.

وحين وصلت إلى قم نزلت في دار «موسى بن خزرج بن سعد الأشعري» الذي كان زعيم الأشعريين آنذاك، وحلّت مع من كان معها ضيفاً عليه.

هذا وقد ذكر المؤرّخون قولا آخر في كيفية ورودها (عليها السلام)إلى قم، وقد ذهب كثير من المؤرّخين إليه وهو كالآتي:

لمّا علم المسلمون الأشعريون بقدوم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) إلى ساوة، خرجوا عن بكرة أبيهم إلى ساوة، لإستقبالها ودعوتها إلى قم، وكان قد سبقهم زعيمهم موسى بن خزرج بن سعد، وكان رجلا سريّاً كريماً، فالتمسها (عليها السلام) أن تأتي إلى قم وتنزل داره فأجابت ملتمسه، ونزلت عند طلبه.

المظهر الخارجي لبيت النور: بيت السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) التي ألقت الرحل فيها أيّام إقامتها في قم المقدّسة ويقع في محلّة ميدان مير

البهو الداخلي لبيت النور: بيت السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) عند إقامتها في قم المقدّسة الواقع في محلّة ميدان مير

في دار موسى بن خزرج

ولمّا عرف موسى بن خزرج موافقة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) على نزولها عنده، أخذ وهو فرح مستبشر بزمام ناقتها، حتّى أنزلها ومن معها الدار، فكانت مدّة إقامتها لا تتجاوز ستّة عشر، أو سبعة عشر يوماً، حتّى إشتدّ بها المرض من أثر السمّ، والتحقت بالرفيق الأعلى، منتقلة إلى جوار رحمة الله.

وكان ذلك أواخر سنة مائتين وواحد هجرية، من دون أن تزور أخاها وشقيقها الإمام الرضا (عليه السلام)، وقد كان لها إذ ذاك من العمر ثماني عشرة سنة فقط، وذلك لأنّ تاريخ ولادتها (عليها السلام) كان في أوّل ذي القعدة الحرام سنة مائة وثلاث وثمانين هجرية

على الأصحّ()، وتاريخ إستشهادها سنة مائتين وواحدة هجرية، فيكون عمرها الشريف كعمر جدّتها فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ثماني عشرة سنة فقط، سلام الله عليها وعلى آبائها الطاهرين وقيل: أكثر من ذلك، عادّين تاريخ ولادتها (عليها السلام) أوّل ذى القعدة الحرام سنة مائة وثلاث وسبعين هجرية().

عندها أخذت اُسرة الأشعرى بتجهيزها وتكفينها، إلاّ انّهم أبوا أن يدفنوها فى المقابر العامّة، حيث انّهم رأوا أنّ ذلك لا يليق بشأنها، فأمر موسى بن خزرج أن يدفنوا جثمانها الطاهر فى بستانه فى بابلان وهو الاسم المشهور فى ذلك الزمان، على هذا المكان، الذى يوجد فيه الآن ضريح السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) وبعض المناطق فى أطرافه .

وعندما أرادوا موارة جثمانها الشريف فى قبرها، لم يكن بين الناس من محارمها (عليها السلام) أحد، حتّى ينزلها القبر، ويوارى جثمانها الطاهر، فبقوا متحيّرين فى أمرهم، وبعد التشاور فيما بينهم، اتّفقوا على أن يتولّى مواراتها شيخ صالح منهم، وبينما هم كذلك إذا هم يرون فارسين مقنّعين يقبلان نحوهم.

أقبل الفارسان حتّى إذا دنوا منهم حيّوهم بتحيّة الإسلام ثمّ قالا لهم: تنحّوا فانّا أولى بمواراة جثمان هذه المباركة، وأقبلا نحوها فصلّيا عليها (عليها السلام)، ثمّ دخل أحدهما القبر الذى كانوا قد أعدّوه لها فى البستان، وتناول جثمانها الطاهر بمساعدة من الآخر وواراها فى مثواها الأخير، ثمّ خرج من القبر وتوجّه هو والآخر إلى الناس وعزّوهم بهذا المصاب الجلل، ثمّ ركبا فرسيهما وإنطلقا ولم يعرفهما أحد.

ثمّ بعد ذلك عمد موسى بن خزرج إلى تلك الأرض ووقّفها بعد دفن السيّد فاطمة المعصومة (عليها السلام) فيها، ليدفن المسلمون موتاهم فى هذه الأرض الموقوفة.

قم بعد إحتضانها مرقد السيّدة المعصومة (عليها السلام

لقد كان فى ورود السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) إلى قم، واحتضان قم جثمانها الطاهر ومرقدها الشريف، أهميّة تاريخية كبيرة، ذات أبعاد متعدّدة وكثيرة: من دينية وثقافية، وسياسية وإجتماعية، وعمرانية وإقتصادية، وقد تركت تلك الأبعاد الكثيرة آثارها الإيجابية على مدينة قم حتّى يومنا هذا، وما زال ذلك يظهر عليها واضحاً وجليّاً كلّما تقدّم الزمان.

هذا ويمكن القول: بأنّ جميع التطورات الثقافية والدينية، والإجتماعية والعمرانية، وكذلك الإزدهار الإقتصادى فى قم، كان نتيجة إحتضان قم مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، أو كانت مرتبطة بها على الأقل.

على كلّ حال: فانّ جماعات كثيرة، وأعداداً كبيرة من الشيعة، فضلا عن العلويين والسادات، قد قدموا إلى قم بعد إحتضانها مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، كما انّه قد توجّهت إليها بعد ذلك أنظار العلماء والفضلاء، والرواة والمحدّثين، والكتّاب والمؤلّفين على مرّ التاريخ، وإزدادت هجرتهم إليها، الأمر الذى جعل قم تحظى بمكانة دينية وثقافية مرموقة فى العالم، وإستمرّت كذلك، حتّى أصبحت اليوم تُعدّ وبصدق مركزاً ثقافياً، وثقلا فقهيّاً، يستمدّ العالم الإسلامى وغيره منه، ويشدّ كثير من هواة العلم وطالبيه رحل السفر من كلّ حدب وصوب لحوزتها العلمية المباركة.

وقد كان لقم أيضاً، ولحوزتها العلمية، الحظّ الوافر فى تغيير المسار الثقافى وكذلك السياسى فى ايران، بل فى المنطقة والعالم الإسلامى كلّه، وغير الإسلامى أيضاً.

وكيف كان: فانّه قد كان لورود السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) إلى قم، واحتضانها مرقدها الشريف وجثمانها الطاهر، من الآثار والبركات ما لا يسعنا أن نشير إليه فى هذه العجالة، وضمن هذا البحث المقتضب.

المظهر الخارجى لروضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)

وقد التقطت الصورة لأكثر من مائة وعشر سنين حيث يحيط بها مقبرة

شيخان، التى كانت تمتدّ من عند الروضة المباركة إلى مسجد الإمام العسكرى (عليه السلام) المعروف

(القمّيون وآية المودّة)

لا شكّ فى انّه من الصعوبة بمكان، أن نشير إلى عمق الروابط الوثيقة، والمودّة السليمة، والولاء الخالص، الذى يتحلّى به أهل قم بالنسبة إلى أئمّة أهل البيت المعصومين (عليهم السلام)، ذلك الإرتباط الذى كان له أبلغ الأثر فى سلوكهم السياسى والإجتماعى، والثقافى والأخلاقى، وهذا ما يمكننا التعرّف عليه من خلال القصّة التاريخية التالية، التى يعرف منها مدى تمسّكهم بآية المودّة، وإهتمامهم بها

روى: انّه حين أقام الإمام الرضا (عليه السلام) فى «مرو» جاءه شاعر أهل البيت (عليهم السلام) دعبل الخزاعى، الذى كان يحمل خشبته على عاتقه مدّة أربعين سنة، وأنشده تائيته المشهورة (مدارس آيات خلت من) ... فأهدى له الإمام (عليه السلام) فى جملة ما أهداه إليه جبّة، كانت قد تبرّكت ببدنه الشريف (عليه السلام)وبصلاته وتهجّده، لكن دعبل رفض أن يقبل شيئاً من الهدايا، فأصرّ عليه الإمام (عليه السلام)حتّى قبلها، فأخذها وودّع الإمام ورجع.

فلمّا رجع مرّ فى طريقه على قم، وأخبر أهلها بتشرّفه عند الإمام الرضا (عليه السلام)، وإنشاده قصيدته التائية الجديدة، والجبّة التى أهداها (عليه السلام) إليه. فطلب منه زعماء قم أن يحدّث الناس بذلك فى المسجد.

فاعتلى دعبل المنبر وقرأ قصيدته، التى أنشدها على الإمام الرضا (عليه السلام) مع البيتين اللتين أضافهما (عليه السلام) إلى قصيدته، ثمّ أطلعهم على ما جرى من الكلام والحديث بينه وبين الإمام الرضا (عليه السلام)، ثمّ نزل من المنبر.

عندها قام إليه أحد زعماء الشيعة فى قم وكان يدعى باسم: «يحيى بن عمران الأشعرى» وسلّمه مبلغاً كبيراً كان قد جمعه من أهالى قم، الذين التمسوا دعبلاً أن يبيعهم الجبّة التى أهداها له الإمام الرضا (عليه السلام)، وذلك حتّى يقطّعوها ويقسّموها بينهم للتبرّك والشفاء، فأبى دعبل من ذلك، إلاّ أنّهم أصرّوا عليه وأخذوها منه، ودفعوا له بدلا منها مبلغاً قدره الف مثقال من الذهب، ثمّ قسّموها بينهم.

وقيل: انّ دعبل الخزاعى لم يستجب لمّا طلب منه أهل قم، رغم كثرة المال الذى عرضوه عليه، وحينما أراد الخروج إعترضته طائفة منهم فاستلبوه الجبّة، فعاد ليخبر زعيمهم: «يحيى بن عمران الأشعرى» بذلك، إلاّ أنّ أهل قم أروه الجبّة وهى مقطّعة عدّة قطع، فطلب منهم قطعة منها يتبرّك بها ويضعها فى كفنه عند موته، فأعطوه قطعة منها وسلّموه المال الذى كانوا قد أعدّوه له بدلا منها، فأخذهما وانصرف.

إهتمام القمّيين بمرقد السيّدة المعصومة (عليها السلام)

لقد اهتمّ القمّيون منذ اليوم الأوّل من إرتحال السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) بمرقدها الشريف، واتّخذوا حوله كما قال الله تعالى فى قصّة أصحاب الكهف: (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً)() ضلالا ومسجداً، يصلّون لله تعالى فيه متقرّبين إليه سبحانه، ويهدون نوافلهم المستحبّة إلى روح السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، ففى الحديث: «انّ أسرع ما يصل الإنسان بعد إرتحاله من الدنيا، صلاة وصيام، وحجّ وصدقة تهدى إليه».

وكيف كان: فانّ التطوّرات التى شهدها مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) كثيرة ومستمرّة، فقد نصبت مظلّة من القصب على ضريحها بعد دفنها بمدّة قليلة، إلاّ أنّها تحطّمت وزالت على أثر الرياح والأمطار، وبعد مضى ما يقرب من نصف قرن على ذلك، تبرّعت العلوية السيّدة زينب بنت الإمام الجواد (عليهما السلام) ببناء قبّة من الطابوق على قبرها الشريف، ثمّ اتّسعت الروضة المباركة، وترتّبت شيئاً فشيئاً على مرور الزمان، حتّى أضحت من العظمة والجلال إلى ما هو اليوم عليه ممّا لا يمكن وصفه.

راية التشيّع بيد القمّيين

لقـد تجذّر الإسـلام فى ربوع ايران، وانتشـر بين أهاليها بعد تحريرها من قبل المسـلمين، ولم تكن مدينة قم ولا أهلها ليتخلّفوا عن بقيّة مُدُن ايران وأهاليها، بل زادت قم وأهلها على الجميع، بحمل راية التشيّع منذ القرن الأوّل الهجرى دون بقيّة المدن وأهاليها، فقد إعتنق أهل قم بعـد إسـلامهم، المـذهب الحقّ مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) وتشيّعوا قاطبـة، علماً بأنّ التشيّع آنـذاك كان يعنى: عدم الرضوخ ونفى الشرعية عن الحكّام الظالمين.

وعليه: فانّ قم حملت على عاتقها لواء المقاطعـة، وأحياناً راية المعاداة والتبرّى من خلفاء بنى اُميّة وحكّامهم، وذلك بكلّ ما اُوتيت من قوّة، وهذا كان أيضاً ما سلكته مع خلفاء بنى العبّاس وحكّامهم.

ويستنتج من كلّ ما سبق انّ من أبرز خصوصيات قم وأهلها فى القرون الإسلامية الاُولى هو: الوقوف بوجه الخلافة القائمة على أساس غير شـرعى مـن قبـل الأُمويين والعبّاسيين جميعـاً، وهـذا مـا يتجلّى واضـحاً إثر امتنـاعهم عـن دفـع الخراج إليهـم، ودعمهـم العلـويين المطـاردين من قبلهم، وإسـتضافتهم عنـدهم، وإغلاـق شتّى الطرق بوجه عمّـال الخلفـاء المتعنّتين، وأحياناً طردهم وقتلهم، والإنتفاضـة ضدّهم، والقيام ضدّ سلاطين الجور، وما شاكل ذلك.

القمّيون وعامل هارون

كان قيام أهالى قم ضدّ عامل هارون من أبرز أحداث ذلك العصر، وقيل حول كيفية ذلك القيام ما يلى:

انّه ولّى هارون أحد عمّاله وكان يدعى باسم: عبدالله بن كوشيد على اصفهان وقم، فأقام عبدالله فى اصفهان ونصب أخاه «عاصم» على قم، فطالب عاصم أهالى قم بدفع ما مضى من ضرائب وخراج، حيث كانوا قد امتنعوا عن دفعها مدّة ستّة عقود تقريباً، وكانت الحكومة قد قرّرت أن تسـتوفى منهم خراج الماضـى والحاضـر بأيّة صورة كانت، وهذا يعنى: الإجحاف فى حقّ القمّيين، والإعلان عن انّ ولاية عاصم أصبحت قائمة على أساس الجور والعدوان، والقسوة والجفاء.

واسـتمرّ عاصم فى إصـراره على المطالبة والتهديد على ذلك، إلّا انّه لم يسـتطع أن يسـتلم أكثر من ١٠٪ من تلك الضـرائب، ولذا زاد عاصم فى جوره وظلمه حتّى جاز المتعارف، وفاق الحدّ، فخرج نفر عظيم من الناس بخفاء، ليستقرّوا فى نواحى قم، ويترصّدوا الفرصة للإنتقام منه، الأمر الـذى دعى شـيوخ قم وكبرائها، أن يطلبوا من دار الحكومة أن يناشدوا حاكمها بأنّ يخفّف من وطأة ظلمه وتعسّـفه، وأن يتعاون معهم فى حلّ المشكلة سلميّاً، وذلك قبل أن يتفاقم الوضع، وتحلّ النقمة عليه.

ولكن باءت هـذه الوساطـة بالفشل، فقد اسـتمرّ الحاكم فى ظلمه وجوره، وإسـتبداده ودكتاتوريته، فما كان من أهالى قم إلّا أن يثوروا على دار الحكومـة، طلبـاً لإحقـاق حقّهم، وتأديباً لمن لم تنفعه المواعظ، ولم تؤثّر فيه الإعتراضات السـلميّة، ممّا أدّى أخيراً إلى حصر الحاكم وقتله فى داره، والتخلّص من ظلمه وجوره.

إنفصال قم عن ولاية اصفهان

لقـد كـان فى تـأديب الناس عامل الخليفـة على قم، وإنتصارهم عليه وإقتطاع حقّهم منه، أثر كبير على دار الخلافـة، وكـذلك على قم واصـفهان وسائر نقاط البلاد، فقد هزّت القضـيّة الخليفة هزّة عنيفة، بل اقضّت مضـجعه، وجعلته يقرّر خلع عبدالله بن كوشـيد عن ولاية اصـفهان، الأمر الذى دعى ابن كوشـيد أن يلتحق بدار الخلافة، وأن يغدق الهدايا على هارون بغية إسترداد منصبه، كما انّ ابن كوشيد شكى إلى هارون أهل قم، وإمتناعهم عن دفع الضرائب من خراج وغيره، قائلا: انّ أهالى قم لا يدفعون الخراج، ممّا جعل أهل اصفهان يسدّدونه بدلا منهم، ثمّ إقترح عليه: أن يفصل قم عن اصـفهان حتّى يسـهل إدارتها وجباية خراجها، وتتخلّص اصـفهان من تبعات هذا

العبأ الثقيل.

هـذا وقـد توجّه «حمزة بن اليسع الأشـعرى» الـذى كان من زعماء قم إلى دار الخلافـة ليتدارك الوضع، ويمتصّ نقمة هارون، ويتلافى حدّة الموقف، وتفاقم الأمر، وبالفعل فقد كان كذلك، حيث انّه إستطاع أن يقنع هارون ويذكر له: بأنّ المقصّر الرئيسى فى انتفاضة قم وثورة أهاليها هو عاصم نفسه، وذلك لما إرتكبه من ظلم وجور فى حقّهم.

ثمّ إقترح على هارون فصل قم وإسـتقلالها عن ولايـة اصـفهان، ووعده بأنّه إذا أفصل قم عن ولاية اصـفهان، وغضّ النظر عن ضـرائبها السابقة المفروضة على أهل قم، فانّه يضمن شخصاً جباية خراج قم وضواحيها، ليسلّمها بنفسه إليه.

فى البـدء لم يكن هـارون العبّاسـى راغبـاً فى تطبيق مـا اقترحه عليه حمزة زعيم القمّيين، إلاّـ انّه اضـطرّ لإرجـاع قم إلى هيمنته، وفرض السيطرة على أهلها إلى قبول إستقلال قم، وفصلها عن ولاية اصفهان، وهذا ما حدث فعلا سنة مائة وتسعة وثمانين للهجرة، حيث نصب هارون حمزة والياً على قم وهو أوّل حاكم مستقلّ لقم وجعل لها منبراً مستقلا، اُقيمت فيها صلاة الجمعة والعيدين باستقلال.

قم بعد إستشهاد الإمام الرضا (عليه السلام)

عنـدما بـدأ حمزة كبير الأشـعريين الولايـة على قم، والإصـلاحات التى أجراها فى المجالات السياسيّة وغيرها عليها، مثل فصل قم عن ولايـة اصـفهان، ومنحها الإسـتقلالية التامّـة عنها، ومثل تخفيف الخراج والتساهل فى الاُمور الماليـة مع أهلها، ومثل التسامـح فى مسـح الأراضـى وعدم التدقيق فى تعيين مساحاتها لهم، وغير ذلك من الإصـلاحات، هدأت قم، وسـكنت فورة أهلها، وسارت الاُمور بسـلام ووئام، حتّى جاءهم خبر إستشهاد الإمام الرضا (عليه السلام).

فلمّـا جـاءهم الخبر المؤسف إنتفضت قم مرّة اُخرى، وخرج أهلهـا هـذه المرّة، على المـأمون، وذلـك بعـد عودة المـأمون من مرو إلى بغداد، حيث اعتبروه هو القاتل للإمام الرضا (عليه السلام)، وامتنعوا من دفع الخراج إلى دار الخلافة مدّة سبع سنوات، علماً بأنّ الإمتناع عن دفع الخراج إلى دار الخلافـة آنـذاك، كـان يعـدّ بمثابـة المرحلـة التمهيديـة للخروج على الحاكم، بل كان يعـدّ مقاطعـة وخروجاً صريحاً على النظام القائم.

ولـذا بعث المأمون جيشاً عظيماً بقيادة «على بن هشام» لقمع الحركة، وجباية الضـرائب منذ سـنة ۲۰۴هجرية حتّى ۲۱۱هجرية، فما كان من أهالى قم إلاّ أن تصـدّوا للمقاومـة فسـدّوا كلّ الطرق النافـذة إلى قم على جيش على بن هشام، ممّا اضـطرّ الجيش إلى أن يعسـكر خارج أسوار مدينة قم المقدّسة، ويضرب حصاراً حولها.

ثمّ تمكّن بعض أفراد الجيش العبّاسـى، الـذى كـان يقوده على بن هشـام، من اقتحـام البوّابـة وفتحهـا، وذلـك بالإسـتفادة من مجـارى الأنهار، التى كانت تربط داخل المدينة بخارجها، فاستطاع الجيش الغاشم أن يدخل المدينة ويعيث الفساد فيها نهباً وقتلا.

فقـد أمر على بـن هشـام بملاحقـة عـدد من زعمـاء قم الأشـعريين وقتلهم، وتحطيم سـور المدينـة ومصـادرة أمـوالهم، وذلـك بعنـوان مجازاتهم على إنتفاضـتهم، ومقاصّـتهم خراج السنين السبع، التى امتنعوا من دفع الخراج فيها. ثمّ بعد أن قمعوا تلك الحركة، وأخمدوا تلك الإنتفاضة بزعمهم، نصب على بن هشام، على بن عيسى الطلحى على ولاية قم، ورجع إلى بغداد.

وقيل: انّ أهل قم اسـتكثروا ما عليهم من الخراج، وكان ألفى الف (مليونى) درهم، فرفعوا إلى المأمون يسألونه الحطّ عنهم والتخفيف، ويشـكون ثقله وعبأه عليهم، فلم يجبهم المـأمون إلى مـا سألوه، فامتنعوا من أدائه، فوجّه المأمون إليهم جيشاً جرّاراً حاربهم فظفر بهم، وجباهم سبعة آلاف الف (سبعة ملايين) درهم، بعد أن قتل زعيمهم، وهدم سور بلدهم، وأخمد ثورتهم وأطفأ نائرتهم.

ومـا لبث الأمـر إلاّ يسـيراً حتّى انتفض أهالى قم مرّة اُخرى، وخرجوا على عامل الخليفـة وطردوه من أرضـهم. فأمر المأمون ثانيـة بقمع حركتهم، وجبايـة خراجهم، ولكن فى هـذه المرّه إختتمت القضـيّة سـلميّاً، حيث كان هناك بين الذى أمره بقمع الإنتفاضة وبين بعض زعماء قم علاقة مودّة وصداقة، فتمّ التوافق بينهم بسلام.

ثمّ هـدأت الأوضـاع فی قم حتّی وصـل إليهـا خبر موت المأمون سـنة ۲۱۶هجريـة، وفور سـماعهم هـذا الخبر ثاروا علی دار الحكومة، وطردوا عاملها منها، واستقلّوا بالأمر.

إحراق المعتصم مدينة قم

لقـد تولّی الخلافة بعد موت المأمون، المعتصم العبّاسـی، الذی واجه خروج أهل قم أوائل خلافته، فبعث قائد جيشه «وصـيف التركی» ومعه علی بن عيسی الطلحی عامل قم المطرود، لقمعهم، وكان قد أكّد المعتصم علی وصيف بالبطش بهم، والتنكيل فيهم.
وقد تمكّن أهل قم من إغلاق بوّابة مدينتهم، بوجه جيش وصـيف وحاكمهم السابق فی أوّل الأمر، إلاّ انّهم تمكّنوا فيما بعد من إقتحام المدينـة ودخولها، فأباحوا القتل والتخريب بعـد أن حطّموا الأسوار، ثمّ أضـرموا النيران فی الـدور والبساتين والمزارع، حتّی قيل: انّه قد تبدّلت المدينة إلی تلال من الحطام والرماد، وكانت آثار الهدم والحرائق تشاهد فی كلّ مكان.
ثمّ ولّی وصـيف عنـد رجوعه من إخماد الثورة «محمّد بن عيسـی البادغيسـی» علی قم وعاد إلی بغداد، لكن الوالی الجديد: محمّد بن عيسی، اتّبع سياسة اللين والمداراة مع الناس، فلم تشهد المدينة أيّة إضطرابات تذكر حتّی سنة ۲۵۴هجرية.
نعم، لقد شهدت قم هدوءاً نسبيّاً طيلة ولاية محمّد بن عيسی البادغيسی عليها، ثمّ اضطربت ثانية بعد موته، وذلك ابّان مجیء المتوكّل العبّاسـی، المعروف بقسوته ضدّ التشيّع، وكان من قسوته انّه يسیء الأدب بالنسبة إلی فاطمة الزهراء وإلی الإمام علی (عليهما السلام)، ثمّ عمـد إلی هـدم ضـريح الإمام الحسـين (عليه السـلام)، وحرث القبر الشـريف، وإجراء الماء عليه، حيث امتنعت الدواب أن تدنو من القبر، وحـار المـاء وتراكم بعضه علی بعض دون أن يغطّی القبر الشـريف، وغير ذلـك ممّـا أدّی إلی امتعـاض شـيعة قم، الـذين كـانوا يتحيّنون الفرصة ليردّوا كيده إلی نحره.
ولحسن الحظّ انّه فی هـذه الأيّام ثار أحـد العلويين، ويدعی باسم: حسـين الكوكبی ضدّ العبّاسـيين فی العراق، وذلك بتوجيه من أخيه المدعو باسم: حمزة الكوكبی، فلم ينجح فی ثورته هناك، فتوجّه بأفراده ورجاله إلی ايران ونهض فی طالقان، واستطاع أن يسيطر علی المدينة، وعلی مدن اُخری فی أطرافها، مثل: مدينة قزوين وزنجان وابهر، وان يشكّل فيها حكومة علوية مستقلّة.
وهنـا رأی أهـل قم فی هـذه الحركـة العلويـة فرصـة مناسـبة للردّ علی العبّاسيين والخروج من تحت هيمنتهم الغاشـمة، ولـذلك أعلنوا سخطهم علی دار الخلافـة، وأبـدوا عن دعمهم لحسـين الكوكبی، وأعانوه فی تشـكيل حكومته العلويـة الصـغيرة علی هذه البلاد، التی إستنقذها من عمّال العبّاسيين.

أهل قم يستغيثون بالإمام العسكری (عليه السلام)

أرسـلت دار الخلافة جيشاً ضـخماً، لإستنقاذ بلاد طالقان وما حولها من يد الثائرين، الذين سيطروا عليها بقيادة العلوی حسين الكوكبی، ممّا أدّی إلی انهزام الثائرين، وسقوط بلاد الطالقان بيد الجيش، ولاذ حسين الكوكبی بحاكم طبريا الذی كان من العلويين أيضاً.
وفی نفس الوقت كان قـد أمر الخليفـة العبّاسـی «المعتمد» موسـی بن بغا، علی أن يقمع حركة أهل قم ويقضـی علی نهضـتهم، فإنطلق باتّجاه قم موسی ابن بغا وقد جعل عبدالرحمن بن مفلح، علی رأس الجيش.
ولمّا وصل الجيش حدود قم، رأوا انّ أهل قم قد أغلقوا بوّابة المدينة فی وجههم، ليمنعوهم من إجتياح بلدهم، إلاّ انّهم إخترقوها ليلا، فعاثوا فيها القتل والخراب، حيث قُتل عدد كبير من الزعماء، واعتقلت فئة عظيمة من الناس، ولاذ من بقی بالفرار خارج المدينة، وضاق أهل قم بما جری عليهم ذرعاً، ثمّ توجّه عبدالرحمن بعد تلك المقتلة العظيمة بزعم إخماد الثورة، وبعد ذلك النهب الفضيع باسم أخذ الخراج، إلی مدينة الری ملتحقاً بموسی بن بغا، بغية الظفر بحسين الكوكبی.
أجل، لقد ضاق أهل قم ذرعاً من جور العبّاسـيين وظلم عملائهم، لا سيّما موسـی بن بغا الفظّ الغليظ، الذی أنزل بهم أشدّ ألوان القتل

والتشريد، فاستغاثوا بالإمام العسكرى (عليه السلام)، الذى كان فى سامراء تحت الإقامة الجبرية التى فرضها عليه اُولئك الظلمة، فكتب (عليه السلام) إلى أهل قم يعلّمهم دعاءاً يدعون به فى قنوت صلاة الليل()، ليفرّج الله به عنهم، فدعوا به فدفع الله عنهم وكشف ما بهم. أجل، بقى أهل قم ينتظرون الفرج، ويتحيّنون الفرصة للقيام والتخلّص من ظلم العبّاسيين وجورهم، وهذا ما حدث بالفعل عندما إنشغل الخليفة العبّاسى المعتمد بقتاله ليعقوب ابن ليث الصفّارى، وللأسف لم يكتب لهذا القيام النجاح.

ثمّ إنتفض أهل قم مرّة اُخرى وامتنعوا عن دفع الضرائب للعبّاسيين، وذلك ابّان عهد المعتضد العبّاسى، غير انّه جُوبِهَ قيامهم هذا كالسابق بالفشل أيضاً.

وخلاصة القول: انّ قم وأهلها بقوا صامدين أمام جور العبّاسيين وظلمهم، ولم يكفّوا يوماً عن مقاومتهم، والإنتفاضة ضدّهم، والإمتناع من دفع الخراج إليهم، حتّى ظهور البويهيين، وإقامة دولة بنى بويه، الذين كانوا من الشيعة الإمامية، والمعتقدين بالمذهب الحقّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فى المناطق الشرقية للبلاد الإسلامية: ايران وما حولها.

الحرب الإقتصادية ضدّ خلفاء الجور

نعم، انّ القمّيين الذين كانوا يعتنقون المذهب الحقّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وكانوا يرون عدم شرعية الخلافة لبنى اُميّة، أو لبنى العبّاس، ويعتقدون بأنّهم خلفاء ظلم وجور، كانوا يُبدون سخطهم، ويعلنون عدم رضاهم، بالإمتناع عن دفع الخراج إليهم.

وقد ذكرنا سابقاً: بأنّ الإمتناع من دفع الخراج، يعنى التمهيد للخروج على دار الخلافة، وكان يتلقّاه الخليفة إنذاراً بإعلان الحرب عليه، ولكنّهم مع كلّ ذلك كانوا يواصلون إمتناعهم عن دفع الخراج ولا يعبأون بعواقبه، إلّا إذا لم يروا مفرّاً من دفعه لبعض الحكومات.

وفى الحقيقة فانّ عدم دفع الضرائب، كان يعدّ نوعاً من أنواع المقاطعة والحرب الإقتصادية المستمرّة ضدّ الحاكم، وهذا ما جعل قم أن تكون السبّاقة فى هذا الميدان.

ومن السبل التى كان يسلكها القمّيون بغية الهرب من دفع الضرائب هو: انّهم كانوا يخفون ما يحصلون عليه من غلّات ومحصولات زراعية فى مخابىء سرّية، وكان كلّ همّهم أن يتمّ ذلك ليلا بعيداً عن أنظار عمّال الخلفاء، حتّى لا يكون للسلطات ذريعة لجباية الخراج منهم، وكان جواب القمّيين حين كانوا يسئلون عن الغلّات والمحاصيل الزراعية: بأنّه قد حدثت لها آفة ولم يبق منها ما يستحقّ الخراج.

وكان هناك سبيل آخر للهروب من دفع الخراج، يسلكه القمّيون فضلا عن السبيل الأوّل، وهو انّه إذا إزداد عليهم الضغط والكبت كانوا يغادرون البلدة متّجهين إلى نواحى المدينة، وكثيراً ما كان يحدث لهم ذلك، فتبقى الغلاّت والمحاصيل الزراعية مخبّئة وأصحابها ليسوا موجودين، فييأس عامل الخليفة منهم ومن خراجهم، ويضطرّ إلى أن يرجع صفر اليدين.

وهناك سبيل ثالث القمّيون يسلكونه للتهرّب من دفع الخراج إلى خلفاء الجور، ذكره أحد كبار علماء أصحابنا الإمامية يدعى باسم «الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى» صاحب كتاب: «تاريخ قم» وهو أقدم كتاب تاريخى فى هذا المجال.

قال المؤلّف فيه: انّ القمّيين كانوا يعلّمون أولادهم منذ نعومة أظفارهم على عدم دفع الخراج، وعلى مقاطعة خلفاء الجور إقتصادياً، ومحاربتهم سياسياً، انّهم كانوا يلقّنونهم هذه العبارات حتّى يحفظوها ويردّدوها، وهى: ناشدتك الله أن تراعى حالى، لقد تسلّطت الآفات على مزرعتى حتّى هلكت، وقد قضت الديدان على قطنى، وزحف الجراد على ما بقى منها.

فكان الطفل يتعلّم هذه الجمل ويردّدها عند الضرورة، يعنى: إذا وقع يوماً فى قبضة عامل الخراج وإستنطقه العامل حول الغلّات والزرع، نطق بتلك الكلمات ونجّى ذويه من دفع الخراج.

قصّة طريفة فى مجال الخراج

قال الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى فى كتابه القيّم «تاريخ قم»: كان أحد القمّيين مشهوراً بالتهرّب من دفع الخراج، ومتفنّناً فى التحايل على عمّال الخراج، وهذا ما جعل الآخرين يحذون حذوه ويسلكون نهجه، الأمر الذى جعل عامل الخراج يفكّر فى إصلاح هذا الرجل ولو إصلاحاً صورياً، حتّى لا يتبعه الآخرون ويدفعون خراجهم.

ففكّر فى أن يحضر عنده سرّاً ويسلّمه مبلغاً من المال ثمّ يقول له: خذ هذا المبلغ، فإذا دعونا الناس غداً حتّى يحضروا فى الديوان لدفع الخراج، فكن أنت أوّل من يدفع لنا هذا المبلغ، على انّه خراجك الذى تدفعه إلينا، فيتبعك الآخرون فى دفع خراجهم، ونكون لك من الشاكرين.

وافق الرجل على ذلك وأخذ المال ورجع إلى بيته، وفى الغد عندما حضر الجميع إلى ديوان عامل الخراج وحضر الرجل معهم أيضاً، طالبه العامل بدفع الخراج، فأجابه الرجل أمام الجميع وكأن لم يكن قد تواطئا بينهما أصلا، قائلا: «لا أملك شيئاً حتّى أدفع خراجه» فذهل العامل وخاطبه خفية دون أن يسمع الآخرون: «ألم أعطك بالأمس مبلغاً واشترطت عليك أن تدفعه لنا أمام الناس بعنوان انّه سهم خراجك»؟ فأجابه الرجل بخفاء أيضاً: «نعم ولكن حدث لى ما جعلنى أنفقه كلّه بحيث انّه لم يبق لى الآن شيئاً أملكه».

وهكذا تحايل الرجل على عامل الخليفة ولم يدفع إليه شيئاً، فباءت محاولة العامل بالفشل الذريع، ولم يتمكّن من إسترداد المبلغ المذكور، كما لم يتمكّن من جباية خراج الآخرين أيضاً.

قم وإنفتاحها على العالم الإسلامى

ثمّ فى أوائل القرن الرابع الهجرى، ظهر البويهيون الشيعة على الساحة الإيرانية، وأقاموا فيها دولة قويّة وعادلة، وأنقذوا ايران وأهلها من جور العبّاسيين وظلمهم، ونشروا عليها وعليهم عدل الإسلام ورحمته، وبذلك مهّدت هذه الدولة الفتيّة، الأرضية المناسبة أمام قم وأهلها الشيعة، ليكون لهم دور أكبر فى مسرح السياسة العالمية للإسلام، مع انّنا ذكرنا آنفاً: انّ قم لم تكن بمعزل عمّا يحدث فى المنطقة، كما انّها لم تكن فى غياب عن الساحة الإسلامية الواسعة، لكن مجىء آل بويه إلى الحكم فتح أمامها آفاقاً أوسع.

ويمكن معرفة بعض أبعاد ذلك الدور، عبر معاضدة القمّيين لكبار الدولة البويهية، حيث قدّموا لهم آنذاك أنواع الدعم، وساعدوهم فى توطيد حكمهم، وفرض هيمنتهم على دار الخلافة العبّاسية، حتّى استطاعوا التحكّم فى الخلفاء، بخلع من شاؤوا منهم وإستبدالهم بآخرين، ولم يكن أهل قم بمنأى عن ذلك العزل والنصب.

وامّا المظهر الآخر لدور قم فى مسرح الأحداث الخارجية فهو: انّ عدداً من علماء قم وزعمائها كانوا مقرّبين من الاُمراء والسلاطين البويهيين، بحيث حظوا عندهم على مناصب حكومية وثقافية رفيعة المستوى، وهذا ما جعلهم يؤثّرون بشكل أو بآخر فى سياسة المنطقة.

لقد تمتّعت قم بمكانة خاصّة إبّان العهد البويهى، حيث ساعد التوجّه الشيعى للدولة على ازدهار قم فى كافّة الأصعدة، أضف إلى ذلك ما أولاه رجال الدولة الكبار لمدينة قم من أهمية خاصّة، لا سيّما «ركن الدولة الديلمى» وكذلك شاعر أهل البيت (عليهم السلام) الكبير، وأديب زمانه المعروف: «الصاحب بن عبّاد» وزير آل بويه، فانّه كما جاء فى التاريخ هو الذى طلب من العالم الجليل، الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى أن يكتب تاريخ قم، فاستجاب له وكتب عن قم أوّل كتاب مستقلّ فى تاريخها.

مقتلة القمّيين فى اصفهان

لقد كانت اصفهان بعكس قم العريقة فى التشيّع لأهل البيت (عليهم السلام) من المدن السنّية المتعصّبة، وذلك قبل أن يستتبّ المذهب الحقّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وينتشر فى كلّ ربوع ايران، وكثيراً ما كانت تحدث مجابهات عنيفة بين أهل هاتين المدينتين، ونحن نشير باختصار إلى تلك المجابهة التى وقعت فى عهد آل بويه سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية.

لقد نقل المؤرّخون: انّ عدداً من تجّار قم كانوا قد قدموا إلى اصفهان للتجارة، وعلى أثر مناظرة مع بعض أهلها حول التشيّع والتسنّن، نشب بين الطرفين نزاع لفظى شديد، فاستغلّه أهل اصفهان السنّة لقتل جميع التجّار القمّيين الشيعة، وسلب أموالهم.

وحين علم ركن الدولة الديلمى بالواقعة المؤلمة، غضب على أهل اصفهان غضباً شديداً، وعاقبهم على تعصّبهم الشيطانى الأعمى باسترجاع أموال المقتولين، وأخذ أموال عظيمة منهم ودفعها دية لأهالى المقتولين.

قتل الزائرين القمّيين فى بغداد

ومن المجازر التى ارتكبت فى حقّ القمّيين الشيعة، فراح ضحيّتها كثير من الناس الأبرياء هى: مجزرة الزائرين القمّيين، فانّ قم حيث كانت كما قلنا سابقاً عريقة فى الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وكانت من المدن الشيعية المهمّة، كان أهلها كثيراً ما يسافرون لزيارة المراقد المطهّرة فى كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، وفى هذا الطريق كثيراً ما كانت تتعرّض قوافلهم لهجمات أهل السنّة القاسية، التى كانت توقع بين صفوف المسلمين الشيعة مجزرة عظيمة، تنهب فيها أموالهم وأمتعتهم، وتسلب منهم أنفسهم وأرواحهم.

ففى سنة أربعمائة وإثنتين وعشرين هجرية، اتّجهت قافلة للزيارة من قم فوردت بغداد، وكان فى بغداد آنذاك حى شيعى يدعى: «الكرخ»، وحى سنّى مقابل للحى السابق يدعى: «باب البصرة»، وحين علم أهالى باب البصرة بنزول قافلة شيعية فى حى الكرخ هجموا على أفرادها، ونهبوا أموالهم وأمتعتهم، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وجرحوا آخرين، ولاذوا بالفرار.

قم بعد حكومة البويهيين

ولمّا إنقضى عهد البويهيين بما فيه من إزدهار وتقدّم، وعدالة وحضارة، وجاء دور السلاجقة، إحتفظت قم بتواجدها فى مسرح الأحداث السياسية فى عهد السلاجقة أيضاً. ويعزى ذلك إلى كثرة الوزراء القمّيين، الذين كانوا يتواجدون فى تلك الدولة الجديدة أيضاً، ممّا أدّى إلى مواصلة قم لطريقها فى الإزدهار والتطوّر، عمرانيّاً وثقافيّاً فى زمن السلجوقيين أيضاً.

وتدلّ بعض القرائن على انّ إزدهار قم وتطوّرها كان يعود بعد غضّ النظر عن كثرة مدارسها وطلّابها، ومكتباتها وعلمائها فى عهد السلاجقة إلى انّها كانت ذات نفوذ فى أجهزة تلك الدولة.

فعلى سبيل المثال نرى انّ التاريخ قد ذكر اسم أحد العلماء السنّيين المتعصّبين، الذى كان مبرّزاً فى عصر السلاجقة، وهو يُبدى تذمّره الشديد من نفوذ شيعة قم والمناطق الشيعية الاُخرى فى أجهزة الدولة السلجوقية، وخاصّة فى المؤسّسات العسكرية.

ونرى سنّياً متعصّباً آخر ينشد السلطان السلجوقى قصيدة، يؤكّد عليه فيها بالضغط على المناطق الشيعية، ومعاملتهم بالقسوة والشدّة.

القمّيون وملوك الخوارزم شاهيين

ولقد كان للقمّيين دور كبير، وانسجام سياسى هامّ مع سلسلة ملوك الخوارزم شاهيين أيضاً، حيث قيل: انّ أنصار السلطان محمّد خوارزم شاه، كانوا قد تجمّعوا فى قم أيّام زحف المغول على ايران، وهذا ما أثار حفيظة المغول ضدّ قم.

ولعلّ نوع العلاقة التى كانت قائمة بين السلطان محمّد خوارزم شاه والخليفة العبّاسى، يؤيّد الإنسجام المشار إليه بين القمّيين والسلاجقة، وذلك لأنّ السلطان محمّد خوارزم شاه كان غير موافق لدار الخلافة، إذ كان هو الآخر يريد كأسلافه من البويهيين والسلاجقة أن يأخذ بزمام الخلافة، ويكون صاحب القرار السياسى فى العالم الإسلامى دون العبّاسيين، بينما لم يكن الخليفة العبّاسى ممّن يرضى لنفسه أن يستسلم له ويذعن بذلك.

ولهذا كان الخلاف والشقاق يشتدّ بينهما يوماً فيوم، ويظهر بشكل حادّ بين مؤسّسات الحكومة الخوارزم شاهية والعبّاسية، إلى درجة انّ كلّ منهما كان يسعى لإقصاء الآخر وطرده.

فكان السلطان محمّد يؤلّب ضدّ الخلافة العبّاسية، ويعتبرهم غاصبين للخلافة، ويبلّغ لذرّية رسول الله (صلى الله عليه وآله)ونسله من أولاد الإمام الحسين (عليه السلام)، ويعرّفهم بأنّهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، حتّى انّه قدّم أحد العلويين واسمه: «علاء الملك الترمذى» على انّه هو الخليفة، ولكن حسب ما يبدو، كان هذا التغيير متأثّراً بدوافع سياسية أكثر ممّا كان متأثّراً بدوافع دينية، ولذلك لم يكتب له النجاح والبقاء وان إستطاع أن يكسب ودّ الناس ومؤازرتهم نوعاً ما، وفى كلّ ذلك لم تكن قم بمعزل عن آثار هذه المناوشات والخلافات، التى كانت مستمرّة طوال تلك الفترة.

فجائع المغول فى قم

أجل، لقد شهدت قم هدوءاً نسبيّاً بعد البويهيين، ثمّ تزلزلت بشدّة على أثر الزلزال المغولى الزاحف على بلاد المسلمين، إذ لا شكّ فى انّ الزحف الهمجى والبربرى للمغول على البلاد الإسلامية الآمنة، كان أبشع كارثة، وأشنع فاجعة، شهدتها البلاد الإسلامية عامّة، وايران بصورة خاصّة، على طول التاريخ، فانّ ايران لم تستطع بعد ذلك الزحف الوحشى أن تقف على قدميها، وما زالت أبعاد تلك الفجائع والمآسى التى ارتكبها المغول فى ايران خاصّة، يكتنفها الأبهام والغموض حتّى الوقت الحاضر.

ولا يمكن مقارنة هذا الهجوم القاسى، إلاّ بحملة الآشوريين الشعواء على إيلام، والتى أهلكوا فيها الحرث وأبادوا النسل، ولم تأمن حتّى الحيوانات من شرّهم، لكن مع فارق كبير بينهما وهو: انّ حملة الآشوريين لم تطل إلاّ بقعة من جنوب ايران، بينما شملت حملات المغول ايران برمّتها. ولم يكن نصيب قم من تلك الحملات بقليل، وإنّما لحقها ما لحق بقيّة مدن ايران من الفساد والدمار، بل وزادوا بلدة قم دماراً وخراباً، وتركوها لبعض العوامل الآتية خاوية على عروشها.

نعم، لقد أباح أمير جيش المغول لجيشه فى زحفه على ايران، القتل والدمار فى مدينة الرى، وأحالها إلى أكوام من التراب، وتلال من الجثث، ثمّ اتّجه نحو قم، وحين وصلت جيوشهم إلى قم، عمد القمّيون على عادتهم إلى غلق بوّابة مدينتهم فى وجههم، ممّا أثار غضب قائد الجيش المغولى.

مضافاً إلى عوامل تأجيج نار الحقد، التى كان يكنّها جيش المغول فى داخله لقم وأهلها، وما كان يصلهم من سعاية العامّة، الذين كانوا يثيرون ضغائن قائد الجيش المغولى، لقمع أهل قم والفتك بهم، وما كان يبلغهم من تجمّع أنصار السلطان محمّد خوارزم شاه فى قم، والأهمّ من كلّ تلك العوامل هو: هلاك بعض أفراد الجيش المغولى لمّا اقتحموا أسوار المدينة، وأرادوا السطو عليها وعلى أهلها.

وأخيراً قرّر المغول بعد إغلاق أهل قم بوّابات المدينة فى وجههم، أن يقتحموا المدينة مهما كلّفهم الثمن، فأمر قائد الجيش حينئذ أن تنصب المدافع وتوضع المنجنيقات، بغية هدم سور المدينة، وعلى أثر وابل من الأحجار التى قذفت بالمدافع والمنجنيقات فى السور انثلم السور، بالإضافة إلى انّهم حفروا نقباً تحت سور المدينة بطول ستّين ذراعاً، فاستطاعوا إقتحام المدينة عبرهما وإجتياح أهلها بعد هدم الخطوط الحافظة، ورفع الموانع الدفاعية للمدينة.

قم بين مخالب المغول

وحين تمكّن جيش المغول من التسلّل إلى المدينة بعد تحطيم سورها، دخلوها كالمجانين، ليحرقوا كلّ ما يجدوا فيها من رطب ويابس، فقد قتلوا ما عثروا عليه من حيوان وإنسان، بلا رأفة ولا رحمة، إذ أنّ قلوبهم لم تكن تعرف للرحمة معنىً، ولا للإنسانية مفهوماً، فذبحوا الأطفال والنساء، والشيوخ والشبّان، وأفسدوا المدينة أيّما إفساد بحيث أصبحت قم مكاناً غير قابل للسكن.

بل لم يسلم حتّى العلويين من تلك الحملة الهمجية للمغول، فقد كان من بين القتلى زعيمان علويّان شريفان مشهوران أحدهما: «أبو المعالى إسماعيل» وكان يعرف باسم «سربخش» والآخر: السيّد الجليل «جعفر الموسوى» وقبره الشريف شمال غربى قم.

وكان السيّد أبو المعالى هذا قبل أن يأتى إلى قم، ساكناً فى مدينة نيشابور، وكان هو المحرّض لأهل نيشابور على الصمود والمجابهة وعدم الإستسلام أمام المغول، ولهذا حقد الجيش المغولى عليه، فحاولوا الحصول عليه والإنتقام منه، لكنّه قصد قم بعد سقوط نيشابور وإنضمّ إلى صفوف القمّيين.

ولمّا إجتاح الجيش المغولى مدينة قم، وأباحوا المدينة نهباً وقتلا، عثروا على أبى المعالى، وقبضوا عليه، فأمر قائد الجيش المغولى بضرب عنقه وصلب جسده وسط المدينة.

لكن أهل قم الغيارى قاموا إلى جسده ليلا ودفنوه سرّاً، ثمّ عثروا بعد ذلك على رأسه بين الرؤوس المتكدّسة، وضمّوه إلى الجسد الشريف أثر توجّه جيوش المغول إلى همدان، وذلك بعد أن أثكل المغول أهل قم، وأفجعوهم بقتل أعزّائهم وأحبّائهم، كسائر سكنة المناطق الإسلامية الاُخرى المفجوعة بأهليهم وذويهم، حتّى قيل: انّ مراسم العزاء كانت قائمة فيما بينهم، ومستمرّة عندهم حتّى العهد الصفوى.

وهكذا فقد تدمّرت مدينة قم بالكامل إثر هجوم الجيش المغولى الغاشم، إلاّ انّ بعض حكّام المغول الذين اعتنقوا الإسلام، اَولَوا قم بعض الإهتمام، ومن هؤلاء الحكّام: السلطان محمّد الجايتو، المشهور بالسلطان محمّد خدابنده، الذى اهتمّ نوعاً ما بمدينة قم، وذلك بتوجيه من السيّد تاج الدين آوى القمّى، ولكن لم تمض على حملة المغول أكثر من قرن ونصف، حتّى تعرّضت المدينة أواخر القرن الثامن ولمرّة اُخرى لحملة «تيمور كوركانى»، الذى هجم على المدينة بعد تحطيم سورها، وفعل فيها الأفاعيل من قتل وتخريب، حتّى قيل: انّ الناس لم يتمكّنوا من ترميم سور المدينة حتّى العصر الصفوى.

العصر الصفوى بداية الإزدهار

لقد تقدّمت قم خطوة باتّجاه التطوّر والإزدهار، اثر اضمحلال نفوذ تيمور وخلفائه، وبداية ظهور سلالتى «قراقويونلو» و «آق قويونلو» على المسرح السياسى، وأخيراً عند ظهور الصفويين الشيعة فى ايران.

ويجب أن نتبه هنا إلى انّ قم كانت فى بعض العصور التاريخية تعدّ مصيفاً لبعض الملوك، وأحياناً كانت تعتبر بمثابة عاصمة مؤقتة لعدد من السلاطين والحكّام ومنهم: بركيارق الملك السلجوقى، والسلطان محمّد السلجوقى، ومحمود السلجوقى، وقراقويونلو، واوزون حسن آق قويونلو، ويعقوب آق قويونلو، والوند سلطان، وإسماعيل الصفوى، وغيرهم، ولهذا حظيت بعناية هامّة.

وفى سنة تسعمائة وتسع هجرية، ضمّ جيش إسماعيل الصفوى مدينة قم إلى حكومته المركزية الواسعة، وحيث انّ الصفويين كانوا شيعة فقد منحوا قم أهميّة بالغة، فازدهرت إزدهاراً كبيراً، حتّى أصبحت إحدى المراكز الثقافية والفقهية للشيعة، وبرز فيها عدد كبير من العلماء الكبار، والمحقّقين العظام الذين كتبوا العديد من الموسوعات الثقافية، والكتب العلمية، فروّجوا بذلك مفاهيم الإسلام، وأحكام القرآن، وبلّغوا المذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وشجّعوا الناس على ما ندب إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من زيارة مشاهد ذرّيته وأولاده المعصومين، خاصّة زيارة الإمام الرضا (عليه السلام)فى خراسان.

ويبدو أنّ من أسباب تحريض الناس على خصوص زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) هو: ردّ الفعل الذى أبدته الدولة الصفوية للدولة العثمانية، تجاه حدّها من زيارة المراقد المطهّرة فى النجف الأشرف، وكربلاء المقدّسة، والكاظمين وسامراء المشرّفتين، والتى كانت قد بقيت بعدُ تحت نفوذ الدولة العثمانية، ولعلّ هذا العمل كان بمثابة حرب إقتصادية باردة ضدّ الدولة العثمانية حيث أراد الشاه عبّاس الصفوى أن يضعّف إقتصاد العثمانيين بهذه الوسيلة.

أضف إلى ذلك تقدّم قم فى ذلك العصر المتميّز، فى كلّ المجالات الحيوية، حتّى انّها على أثر إنفتاحها على الحرّيات الإسلامية، شهدت رفاهاً إقتصادياً عظيماً، وتطوّراً صناعياً كبيراً، كما وقد اهتمّ الصفويون بروضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) وبضريحها المقدّس، فوقّفوا أموالا لبناء الصحن الشريف وتزيين الروضة المباركة، وكان إهتمامهم بذلك إهتماماً بالغاً، ترك من

بعدهم من الآثار التاريخة ما سبّب جلب العديد من الزوّار والسوّاح إلى مدينة قم.

وبصورة عامّة يمكن القول: بأنّ قم تمتّعت على أثر تطبيق الصفويين الإسلام، ومنح الناس الحرّيات الإسلامية، بنوع من الإزدهار إبّان ذلك العصر.

قم ملجأ الزوّار والسوّاح

لقد إستقطبت ايران أعداداً كبيرة من الزوّار، وأفواجاً لا يستهان بها من السوّاح الأجانب، وقد كتب بعض اُولئك الزائرين والسائحين كتباً مختلفة تحدّثوا فيها عن آثار قم التاريخية، وعن مشاهداتهم فيها، ونشير إلى نموذج من تلك المشاهدات التى شاهدها بعض السوّاح الذين زاروا قم وكتبوا عنها، وهو نموذج يكشف نوعاً مّا عن الأوضاع الإجتماعية والسياسية لذلك العصر.

انّه يقول فى كتابه: زرت مدينة قم أثناء سفرى الأوّل إلى ايران وأقمت فى «خان» فيها، فرأيت الناس يوماً يمرّون مسرعين، زرّافات وأفراداً من أمام ذلك الخان الذى أقمت فيه، ثمّ رأيت الناس الساكنين فى الخان يجرون وراءهم، وحين سألت عن سبب اتّجاههم وعلّة إسراعهم؟ أجابوا: بأنّه سيجرى الآن سباق فى مصارعة الثيران بين فرقتَى الحيدرية والنعمتية، وهما إسمان لفرقتين من الصوفية، كان النزاع بين أتباعهما قائماً على قدم وساق، وربّما أدّى أحياناً إلى صدامات دموية.

فدفعنى فضولى وحبّى لهذا النوع من المسابقات، وتلهّفى وإشتياقى للإطّلاع على عادات الناس، والتعرّف على تقاليدهم، أن أتّبعهم نحو الميدان الذى سبقونى إليه، ثمّ أخذت أشقّ طريقى من بين الجموع الغفيرة المحتشدة إلى مركز الساحة فرأيت ميداناً وقف الناس حوله، وكانت بقرة فى جانب من الميدان تواجه بقرة اُخرى فى الطرف المقابل، ووقف أنصار كلّ واحدة حولها، فكانت إحداها للحيدرية والاُخرى للنعمتية.

وفى هذه الأثناء وصل حاكم قم إلى محلّ المسابقة، فى موكب ضخم يضمّ مائة فارس، للإشراف على المسابقة والإحاطة بما يجرى فى المصارعة، وما أن وصل موكب الحاكم إلى المحلّ، حتّى أخذ مكانه وجلس على أريكة فى زاوية من الميدان كانت معدّة له، ثمّ أخذ يلتفت من حوله فوقع نظره علىّ وعلى صديقى، الذى رافقنى من اسلامبول لزيارة ايران فعرفنا غرباء.

فبعث إلينا وأحضرنا بين يديه، ثمّ أراد منّا أن نجلس على كرسى خال كان هناك، فلمّا إستقرّ بنا المجلس أخذ يسألنا عن هويّتنا والهدف من مجيئنا إلى ايران، وحين علم بأنّا جئنا لزيارة الملك فى اصفهان أكرمنا ورحّب بنا.

ثمّ أذن للمتسابقين ببدء المسابقة، فإذا بأصحاب البقرتين المتقابلتين، المتهيّئتين للصراع، يفتحون قيود قرنيهما ويدفعانهما للنزال، فكانت تنطح إحداهما الاُخرى وتدحرها، حتّى انتهى النزال بغلبة بقرة الفرقة الحيدرية، وإنهزام بقرة الفرقة النعمتية، فانّها أخذت تنسحب بسرعة وتهرب من الزقاق الذى تركه المتفرّجون مفتوحاً أمامها، وعندها جوبهت بضحكات الحاضرين وصيحاتهم.

ثمّ انّ أصحاب البقرة الفائزة حملوا بقرتهم بكلّ سرور وغرور إلى المكان المخصوص، الذى كان قرب الميدان، وأخذ عدّة أشخاص بمداعبتها، وإزالة التعب عنها، وتدهين ناصيتها وقرنيها، ثمّ أهدى كلّ من حضر المسابقة مبلغاً لأصحاب البقرة الفائزة وذلك بحسب قدرته، كما وأهدى الحاكم لهم مبلغاً قدره خمسين توماناً، وكان هذا مبلغاً محترماً فى ذلك الزمان، وكذا قام بعض الناس بتوزيع الفاكهة والحلويات على الناس المحتشدين.

محاسبة الحكّام ومؤاخذتهم

ثمّ انّه لمّا تمّت المسابقة وإنصرف الناس، يقول السائح صاحب القصّة فى كتابه وهو يواصل قصّته: رجعت عندها مع صاحبى إلى محلّ إقامتى فى الخان المذكور، فأقبل إلينا ليلا بعض خدمة الحاكم، وكانوا يحملون على رؤوسهم الصحون المليئة بالطعام والعصير، وذلك بعد ان اقتفوا أثرنا حتّى عثروا علينا، فوضعوها أمامنا وانصرفوا، فأكلنا منها حتّى شبعنا، وشربنا حتّى ارتوينا.

ثمّ إنّا علمنا حين غادرنا قم بأنّ الملك الصفوى غضب على هذا الحاكم، وأمر أن يحمل مقيّداً إلى اصفهان دار الحكومة، ويعزى ذلك إلى انّ الحاكم المذكور، كان قد فرض على الناس من أجل ترميم المناطق المتضرّرة فى قم، وإعادة بنائها، ضرائب بمقدار نصف فلس، لكلّ سلّة فاكهة كان يؤتى بها من الأطراف إلى المدينة، وذلك بدون مجوّز شرعى ولا إذن من السلطات العليا، ويبدو انّه كان للشاه صفى الدين عيون فى كلّ مدينة يوافونه بأخبار الحكّام، وقد أطلعوه على ما كان يفعله هذا الحاكم فى قم.

فأحضره الملك بين يديه، وأنّبه على فعله وتصرّفه المخالف للشرع والعرف، والقسط والعدل، ثمّ أمر ابن ذلك الحاكم وكان خادماً فى البلاط أن ينتف لحية أبيه بمقراض اُعدّ لذلك، ثمّ عزله، والتفت إلى الإبن قائلاً: «ان كنت تحكم أفضل من أبيك المعزول فاذهب بدلاً منه إلى قم» وبعث معه شيخاً كبيراً ذا حكمة وتجربة، حتّى يكون معاوناً له ومشيراً.

عاصمة الصفويين فى أيدى المحتلّين

لقد إنتعشت ايران سياسياً وإقتصادياً، وسعد الناس فى ظلّ حكومة الصفويين الشيعة، وعاشوا سعداء حتّى أغار جماعة من الأفاغنة العامّة، بقيادة محمود الأفغانى على العاصمة الصفوية اصفهان، فخلعوا الصفويين وبدّدوا دولتهم.

نعم ذكر فى التاريخ بأنّ الأفغان عندما سيطروا على عاصمة الدولة الصفوية (اصفهان) وخلعوا الملوك الصفويين، ارتكبوا فيها وفى قم وسائر المدن التى سيطروا عليها أبشع الجرائم، وأحدثوا فيها أشنع المجازر، فقد كانوا من السنّة المتعصّبين، ومن الجفاة القساة الذين لا يبالون بما يزهقون من أرواح الشيعة، ولذلك فانّهم لم يرحموا الناس العاديين فضلا عن رجال الدولة والسلاطين.

وممّا يذكر: انّ قائد المهاجمين محمود الأفغانى بعد ان احتلّ اصفهان، أمر بقتل كلّ الأفراد المحسوبين على الاُسرة الصفوية خلال يوم واحد، حتّى قتل فى هذه الواقعة أكثر من ثلاثين شخصاً من أفراد الاُسرة الحاكمة، وقذفت أجسادهم فى حديقة القصر وبلا مواراة.

ثمّ انّ الأهالى وفى حملة جماهيرية عارمة، وإشتباك غاضب مسلّح، إستطاعوا أن يقتلوا محمود الأفغانى ويقضوا عليه، لكنّهم لم يستطيعوا القضاء على المحتّلين بالكامل، ولذلك بقى المحتلّون يسيطرون على المدينة بقيادة أحدهم خلفاً لمحمود، غير انّ هذا الذى خلّف محمود، أذن للأهالى أن يدفنوا أجساد قتلاهم وقتلى الاُسرة الحاكمة، فهبّ الناس لدفنهم.

وحيث انّ أغلب الملوك والرؤساء الصفويين، وكذلك من جاء بعدهم من ملوك القاجار، كانوا يدفنون موتاهم فى جوار مراقد أهل البيت وكريمتهم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، فقد اتّفقوا على حمل الأجساد إلى قم.

وبالفعل، فقد جمعوا الأجساد ووضعوها فى توابيت خاصّة ثمّ حملوها إلى قم، وقيل: حين تحرّكت قافلة الأجساد نحو قم شيّعها أهل اصفهان بالحزن والأسى، والبكاء والعويل، ولمّا إقتربت القافلة من قم، وسمع أهلها باقتراب القافلة من مدينتهم المقدّسة، هبّوا لإستقبالها وآثار الحزن والبكاء بادية عليهم، وظاهرة فى وجوههم، ثمّ دفنت الأجساد فى جوار الحرم الشريف، والروضة المباركة.

قم ملتقى الجيوش

لقد لحقت قم المقدّسة خسائر فادحة من المحتلّين الأفغان إثر هجومهم على ايران، وإسقاطهم عاصمة الحكومة الصفوية وإستيلائهم على اصفهان، حيث كانت تعتبر قم وفق النظرة العسكرية الخطّ الأوّل فى الدفاع عن العاصمة الصفوية اصفهان، وذلك لأنّ الأفغان لم يعبروا المدن المركزية للإستيلاء على اصفهان، بل زحفوا إليها من شرق ايران وجنوبها.

هذا مضافاً إلى الخطر الذى كان يهدّد الأفغان على الدوام وهو: الشاه طهماسب الثانى بن السلطان حسين الصفوى، الذى كان قد التفّ حوله طائفة من اُسرة السلالة الصفوية، وعاضدوه للإنقضاض على المحتلّين، وذلك من مناطق قزوين وطهران والرى، فكانت مدينة قم ملتقى لجيوش الأفغان والشاه طهماسب، ولهذا جعلها الأفغان معسكر جنودهم وخطّهم الأمامى فى الذود عن اصفهان، وكان جنودهم قد ملأوا المدينة وحواليها، وأخذوا يسيئون معاملة الناس ويؤذونهم.

وممّـا يـذكر فى هـذا المجال هو: انّ الأفغان آنـذاك، كانوا قـد حوّلوا مـدارس قم إلى مخازن غذائيـة لجنودهم، الـذين لم يكفّوا عن إزعاج الناس وإيقاعهم فى ضائقة إقتصادية.

وقيـل: انّ أشـرف الأفغانى حين إنهزم فى دامغان على يـد نادر شاه ولّى هارباً إلى اصـفهان، وحين مرّ بقم نهب المجوهرات والأشـياء النفيسة التى كانت فى مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

وخلاصة القول: انّ الأفغان قد جعلوا قم معسكراً فى عصرهم وعاثوا الفساد فيها، حتّى جاء دور نادر شاه.

مع نادر شاه افشار

تخلّصت ايران من يد المحتلّين الأفغان وظلمهم، ووقعت فى قبضة نادر شاه وسيطرته، فانّه هو الآخر أخذ يذيق الناس شتّى أنواع الظلم حتّى كَتَبَ التاريـخ عن ظلمه قائلاـ لقـد تضـرّرت قم إبّان حكومـة نادر شاه افشار، الـذى عامل أهلها بمنتهى القسوة، حيث قتل طائفة منهم، وسجن اُخرى، بينما لاذ آخرون بالفرار إثر فجائعه التى إرتكبها فى حقّهم.

ويمكن الإشارة إلى واحـدة من حوادث عهد نادر شاه فى قم وهى: الحادثة التى اتّفقت مع قيام القمّيين على أحد ولاته، وهو: «إبراهيم شاه» فقد كان هناك صـراع حول السـلطة بين ولاته، ممّا دعى أهل قم إلى الثورة على إبراهيم شاه المذكور، الذى كان يدّعى الخلافة لنفسه، وذلك بقيادة أحـد سـلالة الصـفويين ويـدعى: «السيّد محمّـد المتولّى» فدكّوا حصون إبراهيم شاه، وفرّقوا جيشه، حتّى تمكّنوا أخيراً من قتله والقضاء عليه.

قم وحكومة القاجاريين

لقد مرّت قم بمشاكل كبيرة، وصعوبات عظيمة، جرّاء الصراع الذى كان ينشب بين الاُسرة الزندية والقاجارية للسيطرة على ايران، فعلى أثر إحـدى المعـارك التى نشـبت عام الف ومائتين وثمانيـة هجريـة أصـبحت قم تحت سـيطرة محمّـد خان القاجارى، وهو أوّل تلك السلالة المعروفة: بالقاجارية، وممّا يذكر عنه: انّه ارتكب أبشع المجازر فى حقّ أهل قم، حيث انّه أحرق البيوت، وقتل الناس، فاُصيبت هذه المدينة بالدمار الشامل من جديد.

وممّـا قيـل فى كيفيـة استيلاء محمّـد خان قاجار على قم: هو انّه حين وصـلت جيوش محمّـد خان قاجار على بوّابـة قم أغلقها حاكمها الـذى كـان قـد نصب عليهـا من قبـل خـان زنـد، ولم يتمكّن محمّـد خـان من إقتحامها حيث باءت كلّ محاولاته بالفشل، ولم يتمكّن كذلك من إجبار حاكمها على الإستسلام.

وحين يئس محمّـد خـان قاجـار من ذلك، اتّصل بالخفاء مع بوّاب إحـدى بوّابات مدينـة قم «بوّابـة الرى»، واتّفق معه على أن يفتـح له البوّابة ليلا، ويسمح لجنود القاجار، باقتحام المدينة.

وبالفعل فقـد فتـح ذلك البوّاب حسب الاتّفاق البوّابـة بوجه الفرسان القاجار وأذن لهم بإقتحام المدينة، عندها أمر محمّد قاجار فرسانه أن يلفّوا أيـدى خيلهم وأرجلها بخرقـة، كى تتمّ عمليـة إقتحامهم المدينـة بلا صوت ولا ضوضاء، وحتّى لا يسـمع حرّاس المدينة بوقع حوافر الخيل، كلّ ذلك بغيـة القبض على حاكم قم، والقضاء على المقاومة من طرف الجند أو الأهالى بسـرعة وبأقلّ الخسائر الإنسانية أو العسكرية.

وهكذا تمكّن الفرسان القاجاريون حين حلّ الظلام أن يحاصروا مقرّ حاكم المدينة بصورة سرّية وبكلّ خفاء.

غير انّ حاكم المدينة الذى كان مشغولا بالصلاة حين حوصر مركز حكومته، طرق سمعه صوت غير طبيعى، فلم يلتفت إليه إثر إنشغاله بالصـلاة، ولكن حين فرغ من صـلاته جلب إنتباهه صهيل الخيل بأنّ هناك حادثة غير متوقّعة، فعلم انّ حياته مهدّدة بالخطر وانّ هناك مؤامرة مدبّرة ضدّه، فهرب خفية من قبضة الأعداء متّخذاً من نفق له فى بيته سبيلا للهرب.

فلم يكن من محمّد خان قاجار، الذى باءت كلّ مكائده وخططه فى العثور على حاكم قم بالفشل، إلّا أن يفتك بالناس، ويسجن جماعة منهم، ثمّ أحرق ممتلكاتهم ومزارعهم، إنتقاماً وتشفّياً منهم، وتخويفاً وإرعاباً لهم.

نعم لقد روّعت مدينة قم من الهجوم الوحشى لمحمّد خان قاجار، الذى كان يتملّكه الخوف من القمّيين، وهذا ما دعاه إلى أن يصدّر أوامره بمنع التجوّل، ومعاقبة من يشاهده فى طريقه كلّما أراد أن يزور حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، وبمعاقبة كلّ من ينظر إليه من سطح منزله، أو نافذة داره أو غير ذلك، حتّى قيل: انّ إحدى النساء لم تكن عالمة بذلك، فرمقته من أعلى سطح دارها، فما كان من محمّد خان قاجار إلّا أن أطلق سهمه على رأسها فأرداها قتيلة.

سادن الروضة المعصومية ومحمّد خان قاجار

وممّا يذكر حول قصّة إستيلاء محمّد خان قاجار على قم برواية اُخرى هو: «انّ جعفر خان الزندى كان قد ولّى نجف خان على قم، وكان نجف خان هو آخر الحكّام الزنديين عليها، وكانت مهمّته أن يوقف زحف محمّد خان قاجار، الذى حاصر قم قادماً إليها عن طريق زند وساوة، وقد دام حصار المدينة سبعة عشر يوماً دون أن يستطيع الجيش الزاحف فتحها، وقد حدثت خلال هذه المدّة عدّة مجابهات بين محمّد خان قاجار وخان زند، أثبتت لمحمّد خان قاجار بأنّ مقاومته ستبوء أخيراً بالفشل الذريع، ولم يدعه أهل المدينة المتضامنين مع الحاكم الزندى من النفوذ إليها.

فعزم محمّد خان قاجار على العودة حيث لم ير فى محاصرة المدينة من جدوى، لكنّه أخيراً فكّر فى الإلتواء والإحتيال، والنفوذ فى المدينة عن طريق المخادعة والمراوغة، وعلى أثر ذلك إستطاع أن يقيم بينه وبين بعض قوّاد جيش خان زند، المسؤول عن حراسة بوّابة الرى علاقات ودّية، وأن يقنعه بفتح تلك البوّابة ليلا بوجه الجيوش القاجارية.

وفعلا حصل ذلك، فقرّر نجف خان التعجيل بالهرب حيث ظنّ انّ أهالى المدينة اتّحدوا مع محمّد خان قاجار، ولهذا توجّه مع بعض أنصاره إلى بوّابة كاشان للهروب، ففوجىء بمائتى فارس قاجارى يمنعوه عن المغادرة، فما كان منه إلّا أن دبّر خطّة حربية ليخدعهم، وينجو بنفسه منهم، وهى انّه عمد إلى ما يُلقى إليهم: بأنّ المدينة بيده، وانّه قد انتصر على المهاجمين، فنادى أحد قادته بأعلى صوته قائلا: «اخبر جيشك بإغلاق بوّابة كاشان، فانّى اُريد أن لا اُبقى أحداً من جيش محمّد خان»، فتنحّى المحافظون القاجاريون جانباً عن البوّابة مخدوعين، فتمكّن نجف خان من الهرب بهذه الطريقة من دون أى تصادم أو مقاتلة.

وهكذا صفى الجو، وتعبّد الطريق، لدخول محمّد خان قاجار وجيشه المدينة، فبسط نفوذه على أهالى المدينة المتعاونة مع الحاكم الزندى، وأصدر أوامره بقتل جميع الأهالى، إنتقاماً منهم لتضامنهم مع الزنديين، فتوسّط لديه سادن الروضة المعصومية (عليها السلام) مع طائفة من العلماء والزعماء القمّيين لإيقاف سفك الدماء، ورفع الظلم والجور عن الناس، إلّا انّه لم يجبهم إلى ذلك، وعندها التفت سادن الروضة إليه قائلا: «لقد عملنا بما يمليه علينا واجبنا الإسلامى، فاعمل بواجبك ان كنت مسلماً، وإلّا فلدينا ما يصلح كلّ شىء» ثمّ إنصرفوا عنه غاضبين، فخشى محمّد خان قاجار من عواقب ردّ وساطتهم، فأعادهم وأجابهم لما طلبوه، وقبل منهم ما توسّطوا فيه.

نذر فتح على شاه قاجار

أوصى محمّد خان قاجار أن يخلّفه بعد موته ابن أخيه: فتح على خان قاجار، الذى واجه مخالفة شديدة بعد موت عمّه، حيث نهض أكثر من شخص يدّعى السلطنة، فنذر فتح على شاه ان إستطاع أن يُرغم منافسيه ويسكتهم، أن يقوم بترميم روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)ومرقدها الشريف، وأن يعيد عمران مدينة قم، وأن يولى أهلها عناية خاصّة، وهذا ما وقع فى ما بعد.

ثمّ انّ الحكومة القاجارية لم تخلُ (كبقيّة الحكومات غير الإنتخابية) من مفاسد داخلية وخارجية، وانّ من أشهر مفاسد الدولة القاجارية هو: انّ ملوكها كانوا يبيعون مناصب الولايات والمحافظات للأثرياء من معارفهم، والمقتدرين من أقربائهم، حتّى بلغ انّ منصب ولاية

واحـدة كان يباع لأكثر من شـخص فى يوم واحـد، وذلك لأنّه كان يخضع للمزايـدة، فمن كان يـدفع مالا أكثر كان يسـتلم المنصـب لتلك المحافظـة، وكان البائع المنصوب أوّلا يصـدّر أوامره بالغاء منصـبه والنصّ على الآخر المشترى، وكان من يشترى منصب إحدى الولايات والمحافظات، يدفع كلّ سنة مبلغاً معيّناً لخزانة الملك المستقرّ فى العاصمة، وكان فى مقابل ذلك له أن يفعل ما يشاء.

هـذا ولا يخفى ما كان لبيع المناصب من مفاسـد لا تعـدّ، وأضـرار لا تحصـى، ناهيك عن آثارها السـلبية، وعواقبها الوخيمـة السياسـيّة والإجتماعية على البلاد وأهلها، ونحن نشير إلى قصّة فى هذا المجال لإراءة جانب من تلك المفاسد والأضرار، وهى كالتالى:

قيل: انّ منصب ولاية اصفهان فى زمان فتح على شاه قاجار كان بيد شخص يدعى: «حاج محمّد حسين خان» وكان منصب محافظة قم بيد شـخص يدعى: «الميرزا أبو القاسم» وكان بين هذين الشخصـين خصام وعداوة، فعرض الحاج محمّد حسين خان مبلغاً عظيماً لفتح على شاه مقابل أن يسـتلم منصب ولايـة قم أيضاً، وله فى المقابل أن يعامل حاكمها «الميرزا أبو القاسم» كيف ما شاء، فأجابه فتح على شـاه إلى ذلـك، إلاّ ـ أنّه اشترط عليه أن لا ـ يقتله وله أن يفعـل به غير ذلـك مـا يشـاء! فوافق «الحاج محمّـد حسـين خان» على الشـرط المـذكور، وأرسل من يسـتلم منصب ولايـة قم، ويأتى إليه بحاكمها «الميرزا أبو القاسم» فلمّا أتى به إليه، لم يقتله إلّا انّه أذاقه صـنوف العقاب، وألوان العذاب!

قم تعيش الإزدهار من جديد

انّ الحكومة القاجارية رغم كلّ العيوب التى انطوت عليها، كانت حكومة شيعية تهتمّ بمظاهر التشيّع، والإلتزامات الشيعية فهم يحترمون المقـدّسات الشـيعية ويعتنون بها، حتّى انّ مدينـة قم والصـحن المطهّر وروضة السـيّدة فاطمة المعصومة (عليها السـلام) حظيت بإهتمام طائل من قبل هذه السلالة، ولعلّ ذلك كان يكمن فى سببين:

الأوّل: انّه كان لسـلاطين القاجار حظّ من الإعتقاد الإسـلامى الشـيعى، ومسـحة من الفكر الدينى الظاهرى، وان كانوا يفتقرون فيها إلى النظرة الدينية الصحيحة.

الثانى: كون المجتمع الـذى كانوا يحكمونه ذا طبيعـة دينية، ولذلك رأوا بحسب الموازين السياسـية لديمومة حكومتهم إضـفاء ظاهرة الإعتقـادات الدينيـة عليهـا، حتّى لا تكون هناك فجوة قائمـة بين الدولـة والرعيـة، وبالتالى يأمنوا من إعتراض العلماء الأعلام، ومراجع الدين العظام.

وعلى كلّ حال: فقد شهدت مدينة قم المقدّسة نوع إزدهار فى ذلك العصر، إذ كما أشرنا سابقاً ان فتح على شاه القاجارى حين تسلّم زمام الاُمور، وفى بنذره، وطلى القبّة الشـريفة لمرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)بالذهب، وبنى مدرسة دار الشفاء، وخصّص مبلغاً سنويّاً محترماً للحرم المطهّر، وهذا ما سلكه ناصر الدين شاه أيضاً تجاه حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

وخلاصـة القول: انّ الأجواء الدينيـة، والمحيط الإجتماعى الملتزم، الذى كان يسود البلد المقدّس، هو الذى أجبر الملوك القاجار وإن كـانت مصالحهم السياسـية تقتضـى ذلك أيضاً وحملهم على أن يهتّموا بقم، وأن يعتنوا بخدمـة حرم السيّدة فاطمـة المعصومـة (عليها السلام).

وفرة مياه قم وفيضاناتها

يوجد فى قم نهر كبير كان إسـمه قديماً: «انار بار» وهو يمرّ وسط المدينة المقدّسة فيجعلها قسمين، وينصّفها نصفين، وهو ينبع من زرد كوه بختيـارى ويصبّ فى حوض سـلطان، وذلك بعـد أن يقطع مسيراً طويلا نسبيّاً، مارّاً بمدينـة كلبايكان ومحلّات، ويمتاز هـذا النهر بإنخفاض منسوب مياهه فى فصلى الصيف والخريف، بينما يرتفع منسوبه فى فصلى الشتاء والربيع.

امّا فيضانه فى الربيع فكان يخلّف حوادث مدمّرة، وخسائر فادحة بالنسبة للمدينة وإلى درجة كبيرة، بحيث انّ بعضها كان يغطّى نصف

المدينة بالماء، ويحوّلها إلى خربة وأطلال، وهذا ما وقع سنة الف وأربع وأربعين هجرية، حيث حطّمت السيول نصف المدينة ناهيك عن الخسائر المعنوية التى شملت الأرواح والنفوس، ممّا دعى المؤرّخين أن يوردوها فى كتبهم التاريخية تحت عنوان: «مياه قم تحيل المدينة خراباً». ثمّ تكرّرت هذه الحادثة فى سنة الف وثلاثمائة وثلاث وخمسين هجرية أيضاً، إلّا انّها سرعان ما اُعيد بناؤها وبناء مساكن الأهالى، بفضل جهود آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائرى مؤسّس حوزة قم العلمية، الذى كان مرجع المسلمين آنذاك.

صورة من نهر قم الذى يعبر من وسط المدينة خلف حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) وفى الصورة مظهر من منائر وقبّة المسجد الأعظم الذى بناه آية الله العظمى البروجردى إلى جنب الروضة المعصومية المباركة والنهر فى هذه الأيّام خال من الماء للجفاف الذى أصاب المنطقة من قلّة الأمطار

بعض مشاهير مدينة قم

انّ الأجواء الدينية السائدة منذ قدم التاريخ فى مدينة قم، أدّت إلى بروز وإشتهار بعض الشخصيات التاريخية، علماً بأنّ هذه الشخصيات البارزة امّا انّها كانت قد نشأت وترعرعت فى قم، أو انّها قد قطنت وسكنت فى قم، ثمّ كان لها دوراً هامّاً فى المجالات الدينية والثقافية، والسياسية والإجتماعية، ليس فقط فى قم وايران، بل فى المنطقة وكلّ العالم.

وإذا أردنا أن نتعرّض لتاريخ كلّ واحد منهم فعلينا أن نفرد لذلك كتاباً مستقلا، ولكنّا نكتفى هنا بالإشارة إلى من كان منهم علماً على رأسه نار.

موسى المبرقع

يقول الشيخ الفاضل، والخبير الماهر الحسن بن محمّد بن الحسن القمّى صاحب كتاب «تاريخ قم» المعاصر للشيخ الصدوق (رحمه الله) فى كتابه المذكور: «تاريخ قم» بعد ذكر السادات الحسنيين والسادات الحسينيين: إنّ أوّل من جاء من الكوفة إلى مدينة قم المقدّسة وسكن فيها من السادات الرضويين، والذى صار فيما بعد يعدّ أباً للسادة الرضوية هو: «موسى المبرقع» وهو أبو جعفر موسى، وابن الإمام الجواد (عليه السلام): محمّد بن على بن موسى بن جعفر (عليهم السلام).

إنّه ورد إلى قم المقدّسة سنة مائتين وست وخمسين هجرية وكان بها حتّى وافاه الأجل وفارق الحياة سنة مائتين وست وتسعين هجرية، ودفن فى منزله الشخصى، حيث مرقده الآن الواقع فى مقبرة چهل اختران المعروفة، ودفن إلى جواره بعد ذلك: محمّد بن موسى المبرقع، وزينب بنت موسى المبرقع، وكذلك اُمّ كلثوم، وفاطمة، واُمّ سلمة، وبريهة، وأحمد بن محمّد بن أحمد بن موسى المبرقع، وغيرهم.

لقد كان السيّد المبرقع من السادة الأجلّاء، ولقّب بلقب: «المبرقع» لأنّه كما قيل: كان صبيح الوجه، جميل المحيّا، فكان إذا خرج ألقى على وجهه البرقع، ولذلك عرف بالمبرقع، وقد ألّف المحدّث الكبير الشيخ النورى (رحمه الله)فيه كرّاساً مستقلا ورسالة مختصرة باسم: «البدر المشعشع فى أحوال ذرّية موسى المبرقع» وتكلّم فيه عن حياة هذا السيّد الجليل، وأثبت فيه جلالته ووثاقته، وكفاءته وأمانته، وإنّه وكلاًّ من ذرّيته الأجلّاء كان مورداً لإحترام ولاة قم وعمّالها وخاصّة والى قم وعاملها: «أبو مسلم محمّد بن بحر الأصبهانى» حيث كان معاصراً لحفيده أبى على محمّد الأعرج، فكان محلا لإجلاله وإعظامه، حيث كان يقوم بزيارته وتفقّده كلّ جمعة فى ضمن زيارته لرؤساء قم الدينيين، ويقول فى حقّه: إنّه كآبائه الطاهرين والأئمّة المعصومين، فى الطهارة والقداسة، وكان يراه جديراً بالإمامة والخلافة.

وكان المبرقع وكذلك ذرّيته من بعده رؤساء الطالبيين ونقباؤهم فى مدينة قم المقدّسة، وكان فى يده ويد أولاده الأوقاف التى وقّفها

الإمـام الجواد (عليه السـلام)فی قم وكـانت كثيرة ومن جملتهـا عشـر قری وقّفهـا الإمـام الجواد (عليه السـلام) علی البنات العازبات من الذرّيـة الطاهرة وذلك بأمر منه (عليه السـلام) وتوليته له، وبإمضاء من الإمام الهادی (عليه السـلام) وإقرار له عليها، وكانوا ينفقون منها بسـخاء لأجل مصالح الإسلام، والمسلمين، وخاصّة السادة منهم، وبالأخصّ لدعم المذهب الحقّ: مذهب أهل بيت رسول الله (صلی الله عليه وآله) وحفظه، وتقويته وإنتشاره.

المظهر الخارجی لمرقد السيّد موسی المبرقع ابن الإمام الجواد (عليه السلام) ويشتمل علی الصحن الشريف وقبّته المنيرة ويقع فی محلّة چهل اختران

حديث العسل بالزعفران

لقـد كان فی آل المبرقع الرواة والمحـدّثون أيضاً، ومنهم العالم الجليل، عبيـدالله بن موسـی ابن أحمـد بن محمّد بن أحمد بن موسـی المبرقع بن محمّـد الجواد (عليه السـلام) بن علی الرضـا (عليه السـلام) بن موسـی (عليه السـلام)حيث روی معنعناً عمّن رأی إبنـة أبی الأسود الدؤلی صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين يدی أبيها خبيص (عسل بزعفران) فقالت: ياأبة اطعمنی.

فقال: افتحی فاك.

قال: ففتحت، فوضع فيه مثل اللوزة، ثمّ قال لها: عليك بالتمر فهو أنفع وأشبع.

فقالت: هذا أنقع وأنجع.

قال: هذا الطعام بعث به إلينا معاوية يخدعنا به عن حبّ علی بن أبی طالب (عليه السلام).

فقالت: قبّحه الله يخدعنا عن السـيّد المطهّر، بالشـهد المزعفر، تبّاً لمرسـله وآكله، ثمّ عالجت نفسها وقاءت ما أكلت منه، وأنشأت تقول باكية:

اِبالشهد المزعفر يابن هند***نبيع إليك إسلاماً ودينا

فلا والله ليس يكون هذا***ومولانا أمير المؤمنينا

يقول أبو الفتوح الرازی فی تفسيره: وكان عمر هذه البنت يتراوح بين الخامسة والسادسة.

نعم، هكذا حورب أمير المؤمنين (عليه السـلام) وشيعته، وبشتّی الوسائل، وبكلّ الأساليب، حتّی يومنا هذا، وممّا يدلّ عليه: إنّه لا يوجد لـدينا اليوم قناة فضائيـة دينية خاصّة بأهل البيت (عليهم السـلام)، كی تختصّ ببثّ فضائل أمير المؤمنين (عليه السـلام)ومناقبه، وفضائل أئمّـة أهـل البيت (عليهم السـلام) من ذرّيته: ذرّيـة رسول الله (صـلی الله عليه وآله)ومنـاقبهم، وبثّ كلمـاتهم وأحاديثهم، وإذا وجـدت هناك قناة دينيـة فإنّها لا تری نفسـها ملزمـة بـذلك، وحتّی أنّها لا تبثّ الأذان رأساً، لأنّ فی الأذان الشـهادة الثالثـة، وهی فضـيلة لأمير المؤمنين (عليه السـلام) والأئمّة الطاهرين (عليهم السـلام) من ولده، وهذا جفاء كبير فی حقّ رسول الله (صلی الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)ينبغی الإلتفات إليه، وتداركه.

زكريا بن آدم القمّی

ومن مشاهير قم وعلمائها زكريا بن آدم القمّی، وكان مثالا فی الورع والتقوی، والعلم والفضـيلة، وكان من أصحاب الإمامين الهمامين: الإمـام علی ابن موسـی الرضـا (عليه السـلام)، والإمـام محمّـد بن علی الجـواد (عليه السـلام)، ومورد إعتمادهمـا فی مدينـة قم، وراوياً لأحاديثهما فيها، ولذلك عندما سأل أحد أهالی قم من الإمام الرضا (عليه السـلام) عمّن يأخذ معالم دينه، وهو لا يستطيع لبعد المسافة أن يراجع الإمام (عليه السلام) فيها، دلّه الإمام (عليه السلام) عليه وقال: «عليك بزكريا بن آدم فإنّه المأمون علی الدين والدنيا».

وفی إحـدی السـنين كـان زكريـا بن آدم فی المدينـة المنوّرة، فجاء موسم الحـجّ، فصـحبه الإمام الرضا (عليه السـلام) معه إلی الحـجّ،

وجعله زميلا له فی محمله طول الطريق ذهاباً وإيّاباً.

وممّا يـذكر فی أحواله: أنّه رأی يوماً وقد خرج فی الصـباح المبكّر من بيته، إنساناً أفلتت منه دابّته، فحاول أخذها وإرجاعها إلی مأمنها عبر الإحتيال عليها، وذلك بأن جمع أطراف ثوبه وأمسك عليها علی هيئـة من يحمل فی ثوبه شـيئاً، وهو يشـبّه للدابّة بأنّ فی ثوبه علفاً لها، ولم يكن فی الواقع فی ثوبه شـیء من علف وغيره، فتأثّر زكريا من رؤيـة هذا المنظر، وتألّم من وجود إنسان فی قم المقدّسة ينوی الإحتيال علی دابّته، وفكّر فی الرحيل عن قم، ورأی إنّ البقاء فی بلـد يكون أحـد أهاليها محتالا ولو بهـذا القـدر، وعلی حيوان، لا خير فيه، فـأخبر الإمـام الرضا (عليه السـلام) عن فكره وعن عزمه علی الخروج من قم من بين أهله ومعارفه، لكثرة السـفهاء وأهل المعاصـی فيها، فمنعه الإمام (عليه السـلام) من الخروج عن قم وقال له: «إنّ الله يـدفع بك البلاء عن أهل قم، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسی بن جعفر (عليهما السلام)».

فبقی زكريـا بن آدم فی قم حتّی وافـاه الأجل فيها، ودفن حيث مرقـده الآن فی مقبرة شـيخان، بقرب من مرقـد الميرزا القمّی وهو مزار يقصده الوافدون. وقد ورد من الإمام الرضا (عليه السلام) بعد وفاة زكريا رسالة بتأبينه، والترحّم عليه، والدعاء له بالرحمة يوم ولد ويوم مـات ويوم يبعث حيّاً، والثناء علی تقواه وورعه، وعلی إسـتقامته علی الحقّ، وأداء أماناته العقيديـة والثقافيـة إلی أهلها، وعـدم تبـديله وتغييره لما فرض الله عليه من واجبات وأحكام.

مقبرة شـيخان ويظهر فيها علی اليمين مرقـد زكريا بن آدم وعلی اليسار مرقـد الميرزا القمّی وهو بقرب الروضة المباركة للسـيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)

أحمد بن إسحاق القمّی

ومن مشاهير قم ومحـدّثيها: أحمـد بن إسـحاق القمّی، وكان من أصـحاب الإمام الجواد (عليه السـلام)، والإمام الهادی (عليه السـلام)، ومن خواصّ الإمام العسكری (عليه السلام)وكان يعرف باسم: «شيخ القمّيين».

إنّه كان وكيلا عنهم (عليهم السـلام) فی قم، وكان يحمل إلی سامراء ما يجتمع لـديه من زكوات وأخماس، وأسـئلة شـرعية وعقيديـة، ويوصلها إليهم (عليهم السلام)، ويأخذ الأجوبة والمدارك منهم (عليهم السلام)ويؤدّيها إلی أصحابها فی قم.

لا تطلب أثراً بعد عين

لقد كان أحمد بن إسـحاق القمّی، من اُولئك القلائل الذين حظوا برؤية الإمام المهدی (عليه السـلام) وتشـرّفوا بزيارته وهو فی سنينه الاُولی من عمره بعـد ولادته (عليه السـلام) وفی ذلك قال كما فی كمال الـدين للشـيخ الصـدوق : دخلت علی أبی محمّد الحسن بن علی (عليه السـلام) وأنا اُريد أن أسأله عن الخلف (الإمام والوصـی) من بعده، فقال لی (عليه السلام) مبتدئاً: ياأحمد بن إسحاق إنّ الله تبارك وتعالی لم يخلّ الأرض منذ خلق آدم (عليه السلام)، ولا يخلّيها إلی أن تقوم الساعة، من حجّة لله علی خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال: فقلت له: يابن رسول الله فمن الإمام والخليفـة بعدك؟ فنهض (عليه السـلام)مسـرعاً فدخل البيت، ثمّ خرج وعلی عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلـة البـدر، من أبنـاء الثلاـث سـنين، فقـال: ياأحمـد بن إسـحاق لولا كرامتك علی الله عزّوجلّ وعلی حججه، ما عرضـت عليك إبنی هذا، إنّه سَـمیّ رسول الله (صلی الله عليه وآله)، وكنيّه، الذی يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً، ياأحمد بن إسـحاق: مثله فی هـذه الاُمّة مثل الخضـر (عليه السـلام)، ومثله مثل ذی القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلاّ من ثبّته الله عزّوجلّ علی القول بإمامته، ووفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه.

قـال: فقلت له: يامولای فهل من علامـة يطمئن إليها قلبی؟ فنطق الغلام (عليه السـلام) بلسان عربی فصـيح فقال: أنا بقيّـة الله فی أرضه،

والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين ياأحمد بن إسحاق.

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه فقلت له: يابن رسول الله لقد عظم سرورى بما مننت به علىّ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذى القرنين؟

فقال: طول الغيبة ياأحمد.

قلت: يابن رسول الله وإنّ غيبته لتطول؟

قال: إى وربّى حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلّا من أخذ الله عزّوجلّ عهده لولايتنا، وكتب فى قلبه الإيمان وأيّده بروح منه، ياأحمد بن إسحاق! هذا أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين، تكن معنا غداً فى علّيين.

(على بن إبراهيم القمّى)

ومن مشاهير قم ومفسّريها: على بن إبراهيم بن هاشم القمّى، كان من أجلّة الرواة ونقلة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وكان معاصراً للإمام العسكرى الحسن بن على (عليه السلام)، وهو اُستاذ صاحب الكافى الشريف، شيخ المحدّثين محمّد بن يعقوب الكلينى، الذى أمر أحد حكّام بغداد بنبش قبره فرآه غضّاً طريّاً، فقد قيل: إنّ هذا الحاكم لمّا رأى إقبال الناس على زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام) حمله النصب على أن يأمر بحفر القبر الشريف وقال: إن كان كما يزعمون من فضله فهو موجود فى قبره، وإلاّ منعنا الناس عنه.

فقيل له: إنّ هاهنا بقرب الجسر رجلاً من علماء الشيعة المشهورين، ومن أقطابهم المعروفين، واسمه: محمّد بن يعقوب الكلينى، يكفيك الإعتبار بقبره، فأمر بحفره ونبشه، فوجده بهيئته كأنّه دفن من ساعته، فأمر بتعظيمه، وبنى قبّة عظيمة عليه، فصار مزاره مشهوراً.

أجل إنّ على بن إبراهيم القمّى هو اُستاذ شيخ الفقهاء والمحدّثين: الكلينى، وكان الكلينى أعلى الله مقامه كامل الوثوق به، وعظيم الإعتماد عليه، ممّا يدلّ على جلالته ووثاقته، وكان له تصنيفات كثيرة، وتأليفات قيّمة، أشهرها تفسيره المعروف باسم: «تفسير على بن إبراهيم القمّى» وقد اعتمد فيه على الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير الآيات الكريمة للقرآن الحكيم، وطبع أخيراً طبعة أنيقة فى مجلّدين.

لقد وافته المنيّة فى قم، فجهّز ودفن فى المقبرة الكبيرة بقم، قريباً من شيخان، وعلى كثب من مرقد محمّد بن قولويه القمّى، وله على مرقده قبّة منيفة يقصدها الوافدون للزيارة من كلّ مكان.

ابن قولويه: أبو القاسم القمّى

ثمّ إنّ من مشاهير قم وأعلامها أيضاً: الشيخ أبو القاسم القمّى: جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه اُستاذ الشيخ المفيد، وصاحب كتاب: «كامل الزيارات» وهو قمّى المولد، بغدادى المسكن، كاظمى الوفاة والمدفن، لقد توفّى بها سنة ثلاثمائة وتسع وستّين هجرية، ودفن عند رجلى الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) فى روضتهما المباركة، وإلى جنبه قبر تلميذه الشيخ المفيد، وقبر مادح أهل البيت وشاعرهم الحسين بن الحجّاج.

ومن جلالة قدره، وعظيم منزلته وتضلّعه فى الفقه قيل فى حقّه: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلّائهم فى الحديث والفقه، وقد روى عن أبيه() وعن أخيه، لقد قرأ الفقه ومنه حمل، وكلّما يوصف به الناس من جميل وفقه، فهو فوقه، له كتب كثيرة، وتأليفات ثمينة، مثل كتاب: مداواة الحسد، تاريخ الشهور والحوادث، اليوم والليلة، القضاء، النوادر، النساء، الأحكام، وغيرها، ولعلّ أهمّها وأشهرها هو: كتاب كامل الزيارات المعروف.

رسالة ابن قولويه إلى الإمام المهدى (عليه السلام)

ومن طريف ما يذكر عنه: إنّه قبل وفاته بثلاثين عاماً، يعنى: فى سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين هجرية، توجّه لزيارة بيت الله الحرام، وذلك بأمل اللقاء بالإمام المهدى المنتظر، ورجاء التشرّف بزيارته (عليه السلام)، إذ فى تلك السنة كان من المقرّر إرجاع الحجر الأسود الذى صادره القرامطة ونقلوه إلى هجر مدّة أكثر من عشرين عاماً إلى مكّة، حتّى ينصبونه فى مكانه من البيت الحرام.

ثمّ إنّ من قداسة الحجر الأسود ودليل طهارته، أنّه لا يستقرّ فى مكانه إلّا إذا نصبه فيه إنسان معصوم، مؤيّد من عند الله، ففى الجاهلية عندما جرف السيل الكعبة، وأزال الحجر الأسود عن مكانه، كان الذى نصب الحجر فى مكانه من الكعبة هو: النبى الكريم محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وذلك فى قصّة معروفة فى التاريخ، وفى هذه المرّة لم يكن المعصوم على وجه الأرض سوى الإمام المهدى (عليه السلام)، فإنّه هو الذى سوف ينصبه بيده وبأمل لقاء الإمام المهدى (عليه السلام) الذى سوف يتعرّف عليه من عملية نصبه الحجر الأسود فى مكانه، توجّه الشيخ أبو القاسم القمّى المعروف بابن قولويه إلى الحجّ.

شدّ الشيخ رحاله وواصل سفره نحو بيت الله الحرام، وكلّه رجاء وأمل، لكن خاب أمله وإنقطع رجاءه عندما وصل إلى بغداد، حيث إنّه تمرّض فيها، ولم يتمكّن من مواصلة سفره، فإستناب أحد ثقاته، وأرسله إلى مكّة المكرّمة للحجّ، وبعث معه رسالة مختومة، وأمره أن يسلّمها إلى من ينصب الحجر الأسود فى مكانه، وكان قد سأل فى رسالته عن مدّة عمره وهل إنّه سيعافى من مرضه أم لا؟

توجّه النائب إلى مكّة المكرّمة، وبقى فيها حتّى اليوم الموعود، الذى كان قد تقرّر نصب الحجر الأسود فيه، وكان يوماً مزدحماً بالناس، فقد إجتمعت الجماهير الكثيرة فى المسجد الحرام لمشاهدة عملية نصب الحجر، يقول النائب: جئت إلى خدمة الكعبة المشرّفة وقدّمت لهم شيئاً من المال هدية لهم، وأردت منهم أن يحجزوا لى مكاناً قريباً عند الركن، ففعلوا ذلك، ووقفت قريباً من الركن وأشرفت على عملية نصب الحجر، فرأيت عدّة افراد حاولوا نصب الحجر فى مكانه، غير إنّ الحجر لم يستقرّ فى موضعه، وإنّما تزلزل عنه وإضطرب حتّى وقع على الأرض، عندها جاء رجل أسمر اللون، جميل الوجه، حسن السمت، وأخذ الحجر الأسود ووضعه فى مكانه من البيت، فاستقرّ الحجر فى موضعه إستقراراً تامّاً، دونما أى تزلزل وإضطراب، عندها تصارخ الناس فرحاً وهتفوا لله شاكرين.

يقول النائب: عرفت من إستقرار الحجر الأسود فى مكانه، إنّ الذى نصبه هو الإمام المهدى (عليه السلام)، فلحقته من خلفه بعد أن غاص فى الجماهير المزدحمة من الناس، فلم أصل إليه حتّى إذا بلغ مكاناً خالياً من الزائرين وقف ثمّ التفت إلىّ وقال: هات ما معك، فسلّمته الرسالة، فأخذها وقال لى دون أن يفتحها ويطّلع على ما فيها: قل لصاحب الرسالة: إنّه لا خوف عليك من مرضك، فإنّك ستعافى وتعيش معافاً ثلاثين سنة.

يقول النائب: بسماعى لكلامه السديد، وصوته العذب الجميل، لم أستطع أن أتمالك نفسى حتّى أجهشت بالبكاء فرحاً وشوقاً، كما لم أستطع أن أتكلّم بشيء، ولا أن أتحرّك من مكانى، حتّى غاب عن نظرى، عندها رجعت من الحجّ، وأخبرت الشيخ ابن قولويه بما قاله (عليه السلام)، وكان بالفعل كما قال (عليه السلام).

سعيد بن هبة الله الراوندى

ومن مشاهير قم وفقهائها: سعيد بن هبة الله بن الحسن، المعروف بالقطب الراوندى، وكان من اُسرة علمية معروفة بالعلم والفقه، أباً عن جدّ، وله أولاد ثلاثة كلّهم من العلماء الأجلّاء، وله تلاميذ كثيرون إذ كان هو اُستاذاً بارعاً، وشيخاً متضلّعاً، ومن جملة تلامذته: ابن شهر آشوب صاحب كتاب: «المناقب» المعروف، كما أنّ له شيوخاً أجلّاء، تتلمّذ عليهم وتلقّى الروايات منهم، أحدهم: السيّد أبو الفتح عبدالواحد الآمدى صاحب الكتاب المعروف: «غرر الحكم» الجامع للكلمات القصار المروية عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)ومنهم: والد الخواجه نصير الدين الطوسى، صاحب رصد مراغة المعروف، ومنهم: الشيخ أبو على الطبرسى صاحب التفسير

المشهور: مجمع البيان، وغيرهم.

له مؤلّفات كثيرة، وتصانيف منيفة وثمينة فى أبواب شتّى وفى مجالات متنوعة، فى الفقه والاُصول، والحديث والتفسير، وفى تناقضات الفلاسفة وتهافتهم، وفى تفسير نهج البلاغة، وغير ذلك، ولعلّ من أشهر كتبه كتاب: الخرائج والجرائح، وكذلك كتاب: الدعوات، المعروف باسم: دعوات الراوندى، ثمّ إنّ ممّا جاء فى كتاب دعواته نقلا عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)هو الدعاء التالى:

قال: ضمّني والدى إلى صدرى يوم قتل والدماء تغلى وهو يقول: يابنى احفظ عنّى دعاء علّمتنيه فاطمة (عليها السلام)، وعلّمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلّمه جبرائيل (عليه السلام) فى الحاجة والهمّ، والغمّ، والنازلة إذا نزلت، والأمر العظيم الفادح، قال ادع: «بحقّ ياسين والقرآن الحكيم، وبحقّ طه والقرآن العظيم، يامن يقدر على حوائج السائلين، يامن يعلم ما فى الضمير، يامنفّس عن المكروبين، يامفرّج عن المغمومين، ياراحم الشيخ الكبير، يارازق الطفل الصغير، يامن لا يحتاج إلى التفسير، صلّ على محمّد وآل محمّد، وافعل بى كذا وكذا».

وعن الدعوات أيضاً: «إنّ الله تعالى قال لموسى (عليه السلام): هل عملت لى عملا قطّ؟

قال: صلّيت لك وصمت وتصدّقت وذكرت لك.

قال الله تبارك وتعالى: أمّا الصلاة فلك برهان، والصوم جنّة، والصدقة ظلّ، والذكر نور، فأى عمل عملت لى؟

قال موسى: دلّنى على العمل الذى هو لك.

قال: ياموسى هل واليت لى وليّاً؟ وهل عاديت لى عدوّاً قط؟ فعلم موسى إنّ أفضل الأعمال: الحبّ فى الله، والبغض فى الله» وإليه أشار الإمام الرضا (عليه السلام) بمكتوبه: «كن محبّاً لآل محمّد وإن كنت فاسقاً، ومحبّاً لمحبّيهم وإن كانوا فاسقين».

لقد وافاه الأجل حسب التاريخ الذى نقش على مرقده فى سنة خمسمائة وثمان وأربعين هجرية فى قم المقدّسة، ودفن فى الصحن الكبير من روضة السيّدة فاطمة المعصومة، حيث مرقده الآن، وهو مزار للوافدين، وملاذ لأصحاب الحوائج.

قم والخواجه نصير الدين الطوسى

انّ الخواجه نصير الدين الطوسى، الذى يعدّ من أكابر علماء العالم الإسلامى، والذى تفتخر به المعمورة، وتتباهى به البشرية، فضلا عن قم وايران هو قمّى المولد طوسى المنشأ.

لقد كان الخواجه الطوسى رياضياً بارعاً، وفقيهاً متبحّراً، وعالماً مجاهداً، وفلكيّاً بارزاً، وحكيماً مقتدراً، وسياسيّاً فذّاً، وبصورة عامّة كان ملمّاً بجميع علوم زمانه حتّى اُطلق عليه «اُستاذ البشر».

لقد ولد الخواجه الطوسى، فى اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الثانية سنة خمسمائة وإحدى وتسعين هجرية، فى ضاحية من ضواحى قم تدعى: «جهرود» ثمّ درس فى مدارسها، إلاّ انّها لم تكن لتشبع نهمه العلمى فطاف هنا وهناك، حتّى إستقرّ فى طوس ونشأ فيها، وإشتهر باسمها فيما بعد.

وممّا يذكر فى التاريخ: انّ الإسماعيلية كانت آنذاك تقيم أطراف طوس فى قلاع محكمة، وكانت ذات قوّة سياسية وعسكرية معادية للخلافة، وحين إنتشر الصيت العلمى للخواجه فى ايران، وعلم زعماء الإسماعيلية قيمته العلمية طلبوا منه أن يكون معهم حيث يقيمون، ليستضيئوا بنور علمه، فلبّى الخواجه طلبهم وأقام فيما بينهم.

وقد وقعت هذه القلاع أيّام زحف المغول بيد هولاكو خان المغولى، فنفذ الخواجه نصير الدين الطوسى بحكمته فيهم، وإستهواهم عن طريق علم النجوم، حيث كان ذو مهارة عالية فى فنّه، فاستطاع أن يجعل قلوبهم مسخّرة له، وأن يُسجّل لوجوده فى مؤسّساتهم أعظم الآثار والفوائد، والتى من أهمّها ما يلى:

أوّلا: إستطاع أن يعدّل سياسة المغول العداونية، وأن يحدّ من وحشيّتهم وبربريّتهم.

ثانياً: إستطاع تدريجياً أن يثقّفهم بالثقافة الإسلامية، والاُمور العقائدية، وأن يعرّفهم النظام الحقوقى والإجتماعى الموجود فى الإسلام تمهيداً لإعتناقهم الإسلام.

ثالثاً: إستطاع أن يُقنع رؤوسهم بعدم إتلاف المكتبة الإسلامية العامرة، وأن يحفظها والمؤلّفات القيّمة التى كانت فيها من الإبادة والتلف.

رابعاً: كثيراً ما كان يشفع للعلماء والاُدباء، ويطفىء غضب المغول المستعر ضدّهم.

خدمات علميّة وثقافية

نعم، انّ الخواجه نصير الدين، لم يكن موفّقاً فقط فى الحدّ من همجية المغول، وبربرية هولاـكو خان كبير المغول، بل سعى رغم الصعوبات والمشاكل التى كانت تعصف به، فى حفظ التراث العلمى، والكيان الإسلامى حتّى لا تندثر المفاهيم الإسلامية، ولا تنطفىء شعلة حضارته الوهّاجة، وحفاظاً على ذلك فقد أنشأ مرصد مراغة المعروف، واشتغل بالتدريس، وتتلمّذ على يديه ما لا يحصى من طلّاب العلوم الدينية، واشتغل بالتأليف أيضاً، وألّف كتباً قيّمة وثمينة، ونحن نشير إلى بعض مؤلّفاته:

۱ «تجريد الكلام، أو تجريد الإعتقاد» فى إثبات عقائد الشيعة.

۲ «تحرير اقليدس» وهو شرح وتهذيب لهندسة اقليدس اليونانى.

۳ «تحرير مجسطى» وهو شرح وتهذيب للهيئة البطليموسية.

۴ «شرح الإشارات» وهو شرح كتاب أبو على سينا التنبيهات والإشارات فى الفلسفة والحكمة.

۵ «الأخلاق الناصرية» فى الحكمة العملية والأخلاق.

۶ «أساس الإقتباس» فى المنطق.

۷ «التذكرة النصيرية» فى الهيئة.

۸ «أوصاف الأشراف» فى المعرفة والآداب.

۹ «معيار الإشارة» فى العروض والقافية.

۱۰ ورسالة فى صفات الجواهر وخواصّ الأحجار، وغير ذلك من المؤلّفات المفيدة والممتعة.

من تواضع الخواجه نصير الدين

وممّا يذكر فى أحوال الخواجه نصير الدين الطوسى: انّه جنّ عليه وعلى أصحابه الليل فى سفرة لهم وهم فى الصحراء، فنزلوا بقرب طاحونة كانت فى طريقهم بغية الإستراحة، ولم تمض إلّا فترة قليلة من الليل حتّى أتاهم الطحّان قائلا: «سينزل المطر فى هذه الليلة، وأرى أن تستريحوا داخلا، فانّى اُريد أن أنام وأغلق باب الطاحونة».

وهنا لمّا سمع الخواجه نصير الدين الطوسى كلام الطحّان، رمق بطرفه نحو السماء المليئة بالنجوم وقال حيث لم ير ما يدلّ على نزول المطر فى السماء وهو خبير علم النجوم : «هذه الليلة لا ينزل المطر فيها، فامض حيث تريد ودعنا ننام».

إنصرف صاحب الطاحونة عنهم وتركهم فى مكانهم، لكن لم يمض من الليل إلّا نصفه حتّى أمطرت السماء مطراً شديداً مصحوباً بالبرق والرعد، فاضطرّ الخواجه نصير الدين وأصحابه إلى أن يطرقوا على صاحب الطاحونة الباب ليأويهم من المطر، فنهض وفتحه لهم وآواهم.

عندها التفت الخواجه نصير الدين الطوسى إلى صاحب الطاحونة، الذى أخبره بنزول المطر من أوّل الليل، فى حين انّه لم ير فى السماء أى أثر لنزول المطر، قائلا: من أين علمت بأنّ المطر سينزل فى هذه الليلة؟

فأجاب: انّ لى كلباً ينام داخل الطاحونة ان نزل المطر وإلاّ يبقى خارجاً، وحين رأيته قد دخل هذه الليلة علمت بنزول المطر.
فظهرت علامات التعجّب على قسمات وجه الخواجه وقال متواضعاً: «وا اسفاه على ما أفنيت فى هذا الطريق من العمر، وبالتالى لم أصل إلى ما وصل إليه هذا الحيوان النابح».

من حفر بئراً لأخيه وقع فيها

كان نظام العلماء فى حكومة المغول شافعى المذهب، وكان من شدّة تعصّبه، وحميّة الجاهلية الراسخة فى قلبه، يكنّ العداوة والبغضاء لشخص الخواجة الذى كان يعتنق مذهب الحقّ: مذهب أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الذين أمر الله بولايتهم ومودّتهم، وجعل ذلك أجر رسالة رسوله الحبيب محمّد (صلى الله عليه وآله) ويفكّر دائماً فى التخلّص منه، والقضاء عليه.
فاتّفق أن توفّيت والدة هولاكو خان فى مدينة مراغة، فانتهز نظام العلماء الشافعى هذه الفرصة، للتخلّص من الخواجة والقضاء عليه، وانطلاقاً من هذا العزم وفى خطّة مدبّرة قال لهولاكو ما يلى:
«انّ كلّ من يموت ويدفن، يتعرّض فى القبر لسؤال منكر ونكير ولعلّ اُمّك لا يمكنها الإجابة على أسئلتهم. فعليك أن تدفن معها عالماً متبحّراً مثل الخواجة نصير الدين الطوسى، فانّه جيّد فى إعانتها على جوابهم، وترجمة ما خفى عليها من أسئلتهم».
فاستحسن هولاكو كلام نظام العلماء وشكره على نصيحته، ثمّ أرسل إلى الخواجة نصير الدين وأعلمه بأنّه يريد دفنه مع والدته، ليعينها فى جوابها على أسئلة منكر ونكير.
وبمجرّد ان طرح هولاكو هذا الأمر على الخواجة، عرف الخواجة بأنّ هناك بئراً قد حفرت له، ومؤامرة قد حيكت ضدّه، ولم ير نفعاً فى نصيحة هولاكو وإقناعه بعدم الحاجة إلى معين فى القبر، لأنّ هولاكو كان قد إقتنع بلزوم معين يدفنه معها، ولذلك اضطرّ إلى أن يقول له وبكلّ حيطة: ان كان ولابدّ من ذلك فقدّم من طرح عليك هذه الفكرة ليكون معيناً لوالدتك فى قبرها، وأخّرنى لنفسك، فأعجب هولاكو ذلك، وأمر بدفن نظام العلماء مع والدته، وهكذا تحقّق قوله تعالى: (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)() كما وتحقّق الحديث الشريف القائل: «من حفر بئراً لأخيه وقع فيها».

على بن بابويه القمّى

ومن مشاهير قم وأعلامها: هو الشيخ الأجل على بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمّى، وهو أحد كبار علماء الشيعة الإمامية فى القرن الثالث والرابع الهجرى، إبنه محمّد بن على المعروف بلقب: «الشيخ الصدوق» وكلاهما مشهوران بكنية: (ابن بابويه) وسمّيا بالصدوقين لصدقهما فى رواية الحديث، فاُطلق على على بن الحسين: الصدوق الأوّل، وعلى إبنه محمّد: الصدوق الثانى، وإشتهر الإبن بلقب: «الشيخ الصدوق».
وقيل: انّه كان للصدوق الأوّل مائتا مؤلّف. وقد أخذ علمه فى قم وقام بالتدريس فيها، وكان يرتزق عن طريق التجارة، وفى عام ثلاثمائة وثمانية وعشرين هجرية التقى بالحسين بن روح (أحد النوّاب الأربعة للإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وقد توفّى بقم ودفن فيها فى مقبرة خاصّة له قريبة من روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) أى: فى فرع واقع فى بداية شارع چهار مردان.
وممّا يجدر ذكره هنا هو: انّ الصدوق الأوّل كتب رسالة لصاحب الزمان (عليه السلام) عن طريق أحد الوسائط، يلتمسه فيها الدعاء إلى الله تعالى فى أن يرزقه ولداً مؤمناً تقيّاً، يخدم العلم والعلماء، والإنسان والإنسانية، فجاءه الجواب بعد ثلاثة أيّام وفيه البشارة بولدين مؤمنين بارّين، وكان كذلك حيث رزقه الله تعالى ولدين سويّين، شبّا على العلم والتقوى، وخدما الدين والإنسانية، غير انّه إشتهر أحدهما، وذلك لكثرة جدّه، وشدّة إجتهاده فى نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) ورواية أحاديثهم الشريفة، وهو الشيخ الصدوق:

محمّد بن على.

فالشيخ الصدوق محمّد، هو بشارة الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) إلى ابن بابويه على بن الحسين.

قبّة على بن بابويه القمّى المبنيّة على مرقده الشريف فى قم المقدّسة وقد

اُلتقطت هذه الصورة من سطح مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) المجاور له

مفخرة القمّيين الشيخ الصدوق

ومن مشاهر قم وأعلامها أيضاً: هو الشيخ محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّى، وكنيته: أبو جعفر، ولقبه: الصدوق، ويدعى بالشيخ الصدوق.

منزلته وجلالة قدره أكبر من أن تحتاج إلى بيان، فقد ولد كما مرّ قبل قليل ببركة دعاء الإمام صاحب العصر والزمان (عليه السلام)، وتوفّى بالرى فى عام ثلاثمائة وواحد وثمانين هجرية، ودفن هناك فى مقبرة خاصّة به، ومرقده اليوم مشهور فى الرى باسم: (مشهد ابن بابويه) وهو مزار للشيعة.

وقد ذكروا: انّ له من المؤلّفات ثلاثمائة مجلّداً، غير انّه وللأسف الشديد فُقدت أكثرها على أثر حرق المكتبات، وإبادة الكتب الإسلامية، ولم يصلنا منها إلاّ قليلاً مثل: علل الشرائع، ومعانى الأخبار، ومن لا يحضره الفقيه (وهو من الكتب الشيعة الأربعة)، والأمالى، والتوحيد، وعيون أخبار الرضا، والإعتقادات، وحقوق الاخوان، وصفات الشيعة، وكمال الدين وتمام النعمة، وغير ذلك.

وقد عُرف الشيخ الصدوق عند علماء الشيعة بعدّة ألقاب، منها: رئيس المحدّثين، وشيخ الإجازات، والصدوق المطلق وما أشبه ذلك.

عاصر الشيخ الصدوق دولة آل بويه، وحيث كان البويهيون شيعة يعتنقون المذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وكان الشيخ الصدوق من علماء الشيعة، فقد وفّروا عليه الفرصة لنشر ثقافة أهل البيت (عليهم السلام)، وأطلقوا يده فى ترويج تعاليم الدين الحنيف، وكان موفّقاً فى هذا الطريق، فقد رحل إلى الرى مهاجراً عن قم تلبية لدعوة ركن الدولة الديلمى من أجل هذه المهمّة، كما انّه بغية نشر المذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السلام) سافر إلى نيشابور، وبغداد، والكوفة، وخراسان، وما وراء النهر، ويذكر انّه كان قد كتب كتابه المشهور: «من لا يحضره الفقيه» خلال هذه الأسفار فى قرية، ايلاق، التابعة لبلخ.

ويذكر انّه كان للشيخ الصدوق علاقة وطيدة بالصاحب بن عبّاد وزير آل بويه، فقد كان ابن عبّاد أديباً بارعاً، وشاعراً مبدعاً، وكان أيضاً اُستاذاً للشيخ عبدالقاهر الجرجانى، ويبدو انّ ابن عبّاد هو الذى التمس من الشيخ الصدوق أن يؤلّف كتاب «عيون أخبار الرضا (عليه السلام)» فلبّى الشيخ الصدوق طلبه.

وممّا يذكر فى حقّ الشيخ الصدوق بعد وفاته (رحمه الله): انّ فتح على شاه كان قد عزم على أن يعيد بناء مزار هذا العالم الجليل، وترميم مرقده، وحين أزاحوا التراب عن قبره فوجئوا بطراوة جسده، وسلامة كفنه، حتّى وكأنّه دفن توّاً.

الفيض الكاشانى القمّى

ومن مشاهير قم وأعلامها أيضاً: هو محمّد بن محسن الفيض الكاشانى ابن الملك مرتضى القمّى، وهو كلامى حكيم، وشاعر أديب، ومحدّث أمين، وفقيه مضطلع، ومفسّر كبير.

ولد فى قم المقدّسة عام ألف وسبعة هجرية، ثمّ أصبح مرجعاً دينيّاً للشيعة، وكان لفضله يحبّه الجميع، وكان بسبب توجيهاته للشاه الصفوى وتوصياته إليه: أن أسّس الشاه الصفوى عبّاس الثانى المدرسة الفيضية فى جوار روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، ويعتقد البعض أنّ سبب تسمية المدرسة المذكورة بالفيضيّة ليس هو ذلك، بل لسكنى الفيض الكاشانى وإلقائه درسه فيها، والمدرسة المذكورة هى اليوم من مدارس الحوزة العلمية المشهورة فى قم، وقد إستمرّ بناؤها واتّساعها فى العصور المتعاقبة.

ثمّ انّ الملاّ محسن فيض توجّه إلى اصفهان بدعوة من الشاه عبّاس الثانى، فحظى بمنصب شيخ الإسلام، وأصبح إماماً للجماعة هناك، فكان الشاه عبّاس يصلّى خلفه ويقتدى به.

ثمّ انّه أسّس هناك تكية بقيت ولا تزال تعرف باسم: (تكية فيض) وبقى الفيض فى اصفهان مرجعاً للشاه وللناس، حتّى إذا توفّى الشاه قصد كاشان وتفرّغ للتأليف والتدريس فيها، وبقى هناك فى كاشان حتّى وافاه الأجل عام الف وواحد وتسعين هجرية، ودفن فيها، وقبره حتّى اليوم مزار للجميع.

وممّا يجدر ذكره هنا هو: انّ لقب الفيض للملاّ محسن أطلقه عليه أبو زوجته الفيلسوف المعروف الملاّ صدرا، حيث انّ الملاّ محسن كان من تلامذة الملاّ ـ صدرا فى الفلسفة، ثمّ تزوّج إبنته وأصبح صهراً له، كما انّ تلميذه وصهره الآخر المدفون فى قم هو الملاّ عبدالرزاق اللاهيجى الذى لقبه ملاّ صدرا بالفيّاض.

ثمّ انّه ممّا لا ـ يخفى على المطّلع: انّ الملاّ ـ محسن قد تدارك فى آخر أيّامه ما تقدّم منه من دراسته للفلسفة، وتراجع عن مبانيها، وهجرها وتنحّى عنها، واعترف فى إحدى كتبه بذلك، حيث أعلن فيه بوقوفه على ما فى الفلسفة من أخطاء وأوهام، لا يؤيّدها القرآن الحكيم ولا الروايات الشريفة، بل يستنكرها ويردع عنها حتّى العلم والعقل السليم، كالعقول العشرة، والواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد، وما أشبه ذلك، مصرّحاً فى كتابه المذكور بأنّه أناب إلى الله سبحانه منها، ورجا منه تعالى العفو، ومن الناس بأن لا يسمّوه بالفيلسوف، لأنّ الفيلسوف يريد أن يعرف ماهيّة الأشياء بعقله، مع انّه هو عاجز عن معرفة ماهيّة عقله الذى فى داخله، فكيف بماهيّة الأشياء الخارجة عنه؟

المحقّق القمّى صاحب القوانين

ومن أعلام قم ومشاهيرها أيضاً: هو الميرزا أبو القاسم بن محمّد الجيلانى.

ولد الميرزا فى جابلق من منطقة على جودرز، وكان والد الميرزا جيلانيّاً، إلاّ انّه صحب اُستاذه الذى كانت له مهمّة فى جابلق فولد له الميرزا هناك.

ويطلق على الميرزا القمّى أيضاً «المحقّق القمّى» وقد تتلمّذ الميرزا القمّى على يد اُستاذه الشهير: وحيد البهبهانى فى العراق ثمّ عاد إلى ايران، وبعد أن طاف عدّة مدن وقرى فى ايران استقرّ به المطاف فى قم المقدّسة، فاستعادت الحوزة العلمية بسببه رونقها بعد أن فقدتها إبّان حملات الأفغان، وكان ذلك فى زمان فتح على شاه المعروف.

ولذلك يعتبر الميرزا القمّى مجدّد الحوزة العلميّة فى قم، ومعيد هيبتها وسؤددها، وقد خلّف كتباً قيّمة أشهرها وأهمّها كتاب: «قوانين الاُصول» ويكفى هذا الكتاب شهرة انّ مؤلّفه صار يعرف بعد تأليفه ونشره باسم: صاحب القوانين، وشهرة الكتاب تعنى شهرة الكاتب.

من يوميات الميرزا القمّى

لقد حدثت للميرزا القمّى قبل إستقراره فى مدينة قم واقعة ألّمته كثيراً. وذلك عندما كان الميرزا منهمكاً بالتعليم فى قرية من نواحى جابلق، وكان فى تلك القرية شخص أنانى، يكنّ للميرزا العداوة والبغضاء، ويسعى للإستخفاف به وإخراجه من القرية.

وذات مرّة وبحضور من أهالى القرية وفى خطّة مدبّرة طلب من الميرزا أن يكتب لفظ «الحيّة»، فكتبها فى ورقة، فأخذ الورقة ذلك الأنانى ورسم عليها حيّة، ثمّ أرى الحضّار الورقة وسألهم قائلا: أيّهما الحيّة ما رسمته أو ما كتبه الميرزا؟ فما كان من جهلهم إلاّ أن قالوا: الصحيح ما رسمت لا ما كتبه الميرزا، فحزن الميرزا من مغالطة هذا الرجل الأنانى، وإثارة أهل القرية ضدّه، فرفع يده بالدعاء قائلاـ: «اللهمّ إليك أشكو ما نزل بى، فاجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً» ثمّ عزم الميرزا بعد ذلك على ترك القرية والقدوم إلى اصفهان، ومنها انتقل إلى شيراز، ثمّ رجع إلى اصفهان تارةً اُخرى.

وأخيراً استقرّ به المطاف فى مدينة قم، فاشتهر هناك وتقاطر عليه التلاميذ، وأدرك الجميع فضله ومكانته العلميّة الشامخة، واعترفوا به عالماً بارعاً، وفقيهاً مرجعاً، ذا مؤلّفات قيّمة، قلّ نظيرها، كقوانين الاُصول والغنائم وغير ذلك. وأصبح له على أثر ما كان يتّصف به من علم وفضل، ويتحلّى به من زهد وتقوى، تأثيراً كبيراً فى تقدّم الحوزة العلميـة، وإزديـاد عـدد طلبـة العلوم الدينيـة، وإنتشـار الثقـافة الإسلامية، إلى درجة انّ فتح على شاه كان يسير فى موكبه راجلا ليصلّى خلفه فى المسجد الجامع فى قم.

واستمرّ الميرزا القمّى فى مرجعيته، حتّى وافاه الأجل فى قم المقدّسـة عـام الف ومائتين وواحـد وثلاثين هجريـة، فشيّع تشـييعاً مهيباً إشترك فيه جماهير قم المقدّسة جميعاً. ودفنوه فى مقبرة معروفـة تـدعى: «الشـيخان»، وأضـحى مرقـده مزاراً للخاصّ والعامّ، إلى هـذا اليوم.

المظهر الخارجى لمرقد الميرزا القمّى فى شيخان قرب حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) فى قم المقدّسة

الشيخ غلام رضا القمّى

ومن مشاهير قم وأعلامها: الشيخ غلام رضا بن الحاج رجب على القمّى، وكان قـد إشـتهر باسم: «الحاج آخونـد»، إنّه درس الـدروس الحوزوية إلى مرحلة السطوح فى قم، ثمّ تشرّف إلى العتبات المقدّسة فى العراق ورابط فى النجف الأشرف لتكميل دروسه الحوزوية، ومواصلة درس الخارج، وقد إشترك مدّة سنتين فى درس الشيخ الأنصارى، ثمّ واصل درسه عند تلميذه المجاهد الميرزا محمّد حسن الشيرازى، صاحب قضـية التنباك، حيث اسـتمرّ يواصل درسه عنده وانتقل معه إلى سامراء، وبقى فى سامراء سـنتين يحضـر درسه، ثمّ عاد إلى مسـقط رأسه: قم فأدار بها مجلساً للوعظ والإرشاد، وحلقات بحث وتدريس، وصـلاة جماعة وجمعة، حتّى وافاه الأجل فى قم سنـة الف وثلاثمائـة وإثنتين وثلاـثين للهجرة، ودفن حيث مرقـده الآن فى الصـحن الكبير من روضـة السيّدة فاطمـة المعصومـة (عليها السلام).

له تأليفات فقهية، وتصنيفات اُصولية، وهى كما يلى:

صلاة المسافر، وكتاب القضاء، وإجتماع الأمر والنهى، ومسألة الضدّ، وقلائد الفرائد.

الحاج ميرزا محمّد الأرباب القمّى

ومن مشاهير قم وخطبائها: الحاج ميرزا محمّد الأرباب القمّى، ولد فى قم سـنة الف ومائتين وثلاث وسـبعين هجرية، ونشأ فيها حتّى إذا أتمّ المقدّمات وأكمل دروس السـطح فى الحوزة العلمية بقم غادرها نحو الحوزات العلمية فى العراق، وتتلمّذ على يدى الميرزا محمّد حسن الشـيرازى صـاحب قضـيـة التنباك، ثمّ من بعـده تتلمّـذ عنـد الميرزا حبيب الله الرشتى، والآخونـد الخراسانى صاحب الكفايـة فى النجف الأشرف، ثمّ عاد إلى قم واشتغل فيها بالتأليف والتحقيق، وبخطابة المنبر الحسينى، ومن كتبه المشهورة: الأربعين الحسينية، وهو كتاب مقتل مبسّط، قد تعرّض فيه لذكر فضائل الإمام الحسين (عليه السلام)ومناقبه، والأحاديث التى وردت فيه (عليه السلام)، وقد طبع الكتاب مرّتين.

ومن خصوصـيات هذا العالم الكبير: إنّه عاضد الشـيخ المؤسّـس الشـيخ عبدالكريم الحائرى فى تأسـيس حوزته العلمية فى قم، وخضع لزعـامته الدينيـة، مع أنّه كان بشـخصه عالم أيضاً، وأبـدى لمقام الشـيخ المؤسّـس التواضع والتنازل الكبير، وكان لا يرقى المنبر إلّا فى المجلس الذى كان يعقده الشـيخ المؤسّـس فى أيّام الفاطمية، وذلك فى مسجد فوق الرأس من روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

لقـد وافته المنيّـة فى قم سـنة الف وثلاثمائـة وإحـدى وأربعين هجريـة، يعنى: بعد مرور عام واحد على وفود الشـيخ المؤسّـس إلى قم وتأسيس الحوزة العلمية المباركة ودفن حيث مرقده الآن فى مقبرة شيخان.

الحاج الشيخ مهدى الحَكَمى القمّى

ومن مشاهير قم وأساتـذتها: الحاج الشيـخ مهـدى الحَكَمى القمّى، ولد فى قم سـنة الف ومائتين وثمانين هجرية، ترعرع فى قم ودرس المقـدّمات فيها وأكمل السـطح من دروس الحوزة فى طهران، وهاجر إلى العراق سـنة الف وثلاثمائـة وعشـرة، وتتلمّذ فى سامراء عند الميرزا محمّـد حسن الشـيرازى صاحب واقعـة التنباك المعروفـة، ثمّ بعد وفاة الميرزا الشـيرازى واصل دراسـته الحوزوية والخارج عند السيّد محمّـد الفشـاركى، ثمّ رحـل من سامراء إلى النجف الأشـرف، واسـتمرّ فى دراسـته عنـد الآخونـد الخراسانى صاحب الكفايـة، والميرزا حسين الخليلى، وعاد إلى قم سنة الف وثلاثمائة وإثنتين وعشرين هجرية، فاستقبله أهالى قم، وأرادوا منه أن يصلّى جماعة فى المسـجد الجامع بقم، وأن يقوم بالقضاء بينهم، فلبّى طلبهم، واشـتغل بإقامـة الجماعـة، وإدارة المجالس، والـدروس والبحث، والتأليف والتصنيف.

وممّا إشـتهر عنه: أنّه كان يعالج الذين اُصيبوا بلدغة العقرب، فإنّه كان يعطيهم دعاءاً، أو يُمرر يده على موضع اللدغة، فيعافى المريض من ساعته، ويسكن ألم المصاب من فوره.

وممّا يـذكر عنه أيضاً، إنّه عنـدما كان فى سامراء، تعرّف فى درس الميرزا محمّـد حسن الشـيرازى وكـذلك فى درس الفشاركى على الشـيخ المؤسّـس: الشـيخ عبدالكريم الحائرى، وأصبحت له علاقة كبيرة، وصداقة قويّة معه، وكان هذا التعارف بينهما من العوامل التى ساعدت على مجيء الشيخ المؤسّس إلى قم. وتأسيس حوزته العلمية فيها، فقد شجّع الشيخ الحكمى الناس على إستقباله وكان هو فى مقدّمتهم، حيث استقبل الشيخ المؤسّس وإستضافه فى بيته، وعاضده وساعده فى تأسيس صرح الحوزة العلمية المباركة.

لقد وافاه الأجل فى بلدة محلّات حيث كان فى سـفر له إليها أيّام العطلة الصيفية، وذلك فى سنة الف وثلاثمائة وستّين هجرية، فحمل جثمانه الشريف إلى قم ودفن إلى جنب الشيخ المؤسّس الحائرى فى روضة السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

الشيخ المؤسّس

ومن أعلام قم ومشاهيرها أيضاً: هو الشـيخ عبدالكريم، الحائرى المنشأ، اليزدى المولد، القمّى المسـكن، يدعى بالشـيخ المؤسّس، لأنّ حوزة قم العلمية ركدت مدّة قرن كامل بعد وفاة الميرزا القمّى، ثمّ إزدهرت ثانية سـنة الف وثلاثمائة وأربعين هجرية، بمجيء آية الله الحاج الشيخ عبدالكريم الحائرى اليزدى، ولذلك عدّوه المؤسّس الجديد للحوزة العلمية فى قم.

ولـد الشـيخ الحـائرى عـام الف ومـائتين وست وسـبعين هجريـة، فى قريـة مهرجرد، إحـدى توابع ميبُـد من توابع يزد، وفى اُسـرة دينية وعريقة، ثمّ بدأ فيها بدراسة العلوم الدينية، وبعد إتمامه المقدّمات هاجر إلى العراق ليواصل درسه فى حوزاتها العلمية الشـيعية، ثمّ قدم أراك ليـدرّس فى حوزتها تلبيـة لدعوة العالم النحرير الحاج السيّد إسـماعيل العراقى، ثمّ طلب منه جمع من علماء قم أن يقيم فى قم، ويعقد حلقات درسه فيها، فلبّى طلبهم وقدم إلى قم وأضفى على حوزتها بهاءاً جليّاً، وحياة جديدة.

أضف إلى ذلك ما قـدّمه من خـدماته العمرانيـة، التى لا تقلّ أهمية عن إحيائه الحوزة العلميّة، إذ بترغيبه وجهوده قام فردان ثريّان من أهل قم ببناء مستشفى الفاطمية والسهامية، وقاما بتوسعة مدارس قم القديمة، وقد مرّ خبر إعمار الشيخ المؤسّس مدينة قم المقدّسة عام الف وثلاثمائة وثلاثة وخمسين هجرية، وذلك أثر تراحم السيول التى ضربتها.

هذا وقد كان ورود الشيخ المؤسّس إلى قم المقدّسة، وإحيائه الحوزة العلمية وتصدّيه للمرجعية فيها، متزامناً مع حكومة البهلوى الأوّل: رضـا خـان، الـذى كان فى ذروة قـدرته الإسـتبدادية الظالمـة، ودكتاتوريته الغاشـمة، الهادفـة لتحطيم حصون الإيمان، وأسوار الـدين، ونسف صرح الأخلاق والآداب.

لكن السـياسة الحكيمـة التى اتّبعهـا الشـيخ المؤسّـس فى مقـابلته، مكّنته من أن يحفـظ بهـا الحوزة العلميّـة، والمجـالس الحسـينية، من

الأخطار التى كانت تتهدّدها، حيث كانت المؤسّسات الدينية والشعائر الحسينية، وكذلك الأُصول الثقافية الإسلامية، تتعرّض لهجمات شرسة آنذاك، ولولا حكمة الشيخ الموسّس فى مواجهتها لاندرست تلك الحوزة، ولانطمست الثقافة الدينية تماماً.

نعم انّ الشيخ المؤسّس عبر حكمته العالية، لم يحفظ الحوزة العلمية من الإندراس فحسب، بل إستطاع أن يطوّرها تطويراً لائقاً مع شأنها، بحيث جعله يستحقّ أن يكون مجدّدها ومؤسّسها.

ثمّ انّ الشيخ المؤسّس بقى يواصل جهوده فى حفظ الدين وآثاره، وصيانة الحوزة العلمية ونتائجها، حتّى وافاه الأجل عام الف وثلاثمائة وخمسة وخمسين هجرية فى قم المقدّسة، فدفن فى مكان درسه من الروضة المباركة للسيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، الواقع فى مسجد فوق الرأس، حيث مرقده الآن وهو مزار للجميع.

المحدّث القمّى

ومن أعلام قم ومشاهيرها أيضاً: هو الشيخ عبّاس القمّى صاحب كتاب مفاتيح الجنان، الذى إشتهر فى الأوساط العلمية بلقب: المحدّث القمّى، ولد فى قم سنة الف ومائتين وأربع وتسعين هجرية، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف سنة الف وثلاثمائة وست عشرة هجرية، وذلك بعد أن أنهى دراسته الإبتدائية فى قم، ثمّ انّه بعد أن أكمل دراسته العالية فى النجف وكربلاء، رجع إلى ايران وأقام فى قم اثر وفاة أُستاذه الميرزا حسين النورى، ثمّ تجوّل فى البلاد وجاور حرم الإمام الرضا (عليه السلام)، وألّف الفوائد الرضوية وهو كتاب جميل، ترجم فيه أحوال أعلام الشيعة وشخصيّاتهم.

ثمّ جاور بعد ذلك مكّة المكرّمة، ومدينة الرسول المنوّرة، وألّف فيهما أيضاً كتباً مفيدة، ثمّ جاور حرم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) واشتغل هناك بالتأليف، حتّى وافاه الأجل فى اثنين وعشرين من شهر ذى الحجّة عام الف وثلاثمائة وتسعة وخمسين هجرية، ودفن بجوار أُستاذه الحاج الميرزا حسين النورى فى الصحن المبارك من روضة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى النجف الأشرف.

مؤلّفات المحدّث القمّى القيّمة هى: مفاتيح الجنان، سفينة البحار، الفوائد الرضوية، منتهى الآمال، تحفة الأحباب، تتمّة المنتهى، الكنى والألقاب، كحل البصر، بيت الأحزان، وغير ذلك ممّا يربو على مائة كتاب وتصنيف.

السيّد البروجردى

ومن أعلام قم ومشاهيرها أيضاً هو: آية الله السيّد حسين، البروجردى المولد، القمّى المقام والمسكن، تقلّد زعامة الحوزة والعالم الإسلامى بعد إرتحال الشيخ المؤسّس بعدّة سنوات، فقد تصدّى ثلاثة من العلماء الأعلام لإدارة الحوزة العلميّة، والحفاظ عليها بعد وفاة آية الله الحائرى عام الف وثلاثمائة وخمسة وخمسين هجرية، وكانوا عبارة عن: آية الله حجّت، وآية الله الصدر، وآية الله الخوانسارى، وكان ذلك إبّان حكومة البهلوى الأوّل: الدكتاتور رضا خان.

ثمّ انّه وبعد مضى ثمان سنوات على وفاة الشيخ عبدالكريم الحائرى: الشيخ المؤسّس، توجّه آية الله السيّد حسين البروجردى الطباطبائى إلى مدينة قم المقدّسة، ليتصدّى زعامة الحوزة العلمية فيها، وذلك اثر دعوة كبار العلماء له، وبقدومه إلى قم المقدّسة إزدهرت الحوزة العلمية وتقدّمت تقدّماً كبيراً، وتطوّرت تطوّراً عظيماً، حيث استطاع السيّد البروجردى أيّام مرجعيّته تقوية الإعتماد على القرآن والحديث، وتضعيف الحكمة والفلسفة، وحذفها من مناهج الحوزة العلمية، وفى هذا المجال قام بتأليف الموسوعة الحديثة الضخمة: «جامع أحاديث الشيعة».

وكيف كان: فانّه لا يسعنا هنا الإحاطة بالخدمات الجليلة والعظيمة، التى أسدتها مرجعية السيّد البروجردى إلى قم وحوزتها العلمية، بل إلى كلّ العالم الإسلامى والشيعى، وهناك كتاب مستقلّ يبحث هذا الموضوع فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

ونكتفى هنا بالإشارة إلى انّه مضافاً إلى إعادته تنظيم الحوزة العلميـة، وتنسيق حلقات الـدرس، التى تخرّج منها آلاف الطلبـة، انّه كان ذو اهتمام كبير بشؤون عامّة الناس، فانّ خدماته المرجعية لم تنحصر فى مجال واحد، بل شملت كلّ المجالات وليست فى قم فحسب، بـل سـائر المـدن الإسـلامية وغير الإسـلامية: من اُمور عمرانيـة وثقافيـة، وحوزويـة وإجتماعيـة، كبناء المـدارس والمساجـد، وتأسـيس المستشفيات والمكتبات وما إلى ذلك.

محورية قم لمواجهة الحلفاء

لقـد كانت قم فى تاريخها الطويل، محوراً لمقاومـة الباطل والمبطلين، ونصـرة الحقّ وأهله، فكما صـمدت لتثبيت فتوى تحريم التنباك من قبـل الميرزا الشـيرازى الكبير، وتجلّـدت لتعميم فتوى تحريم الإسـتبداد من قبل الآخونـد الخراسانى الخبير، فكـذلك إسـتمرّت فى مناهضـة الغزاة الروس، الـذين دخلوا كرج عام الف وثلاثمائـة وأربعة وثلاثين هجرية، وذلك بهدف الإستيلاء على طهران، فأصبحت العاصـمة طهران على شـفا جرف هار وخطر حقيقى، فغشـى قلوب أهلها الخوف والرعب، ممّا دعى الكثير من طبقاتها أن يهاجروا إلى قم.

وتبعاً لـذلك عزم عـدد كبير من الشخصـيات السياسـية، والعلماء الأعلام، ورؤساء الأحزاب والمنظّمات، وكذا أحمد شاه وبلاطه، على أن يخرجوا سـرّاً من طهران، وكذلك تقرّر أن تنتقل المؤسّسات العسكرية ودوائر الدولة بما فيها ليلا إلى قم، وقد جرى تنسيق فى هذا المجال مع سـفراء الـدول، التى كانت تحارب ضدّ الحلفاء، كالدولة العثمانية والمانيا وغيرهما، علماً بأنّ الدولة العثمانية كانت آنذاك هى التعبير الوحيد عن القدرة الإسلامية، وفشلها كان يعنى هزيمة القوّة الإسلامية.

هذا ورغم كلّ السـرّية التى اُحيطت بها الهجرة وإنتقال العاصـمة، إلّا أنّ السـفارة الروسـية والإنجليزية قد علما بها، وتمكّنوا من إحباط محاولة نقل العاصـمة بسـبب الضـغط الذى فرضوه على الشاه وبلاطه. ولكن مع ذلك كلّه فقد هاجر إلى قم من أشـرنا إليهم، بالإضافة إلى عـدد مـن وكلاء المجلس وعمـوم النـاس، وكـذا بعض ممثّلى الـدول الـذين كـانوا يقـاتلون الحلفـاء، ومـن برفقتهم من عـوائلهم وموظّفيهم.

وعندما إسـتقرّوا فى قم أسّسوا لجنة باسم: «لجنة الدفاع الوطنى»، فتحوّلت قم إلى مركز سياسى عسكرى ضدّ الروس والانجليز، وكانت تلـك اللجنـة هى النـواة الاُولى لتشـكيل الحكومـة الوطنيـة، وحيـن تعرّضت قم لهجـوم الروس إنتقلت الحكومـة إلى كاشـان، ثمّ إلى اصفهان، وأخيراً استقرّت فى كرمانشاه ثمّ قضى عليها الروس بهجومهم العنيف على أقطابها.

(قم فى براثن المحتلّين)

لمّا علم الروس بتأسيس لجنة الدفاع الوطنى لمجابهة المحتلين فى قم، قرّر الجنرال باراتوف القائد العام للقوات الروسية الإستيلاء عليها وتـدميرها، فإنـدفعت قوّاته نحو قم، فحـدثت معـارك ضاريـة بين اللجنـة وهـذه القوّات، وعلى أثر ذلك إنسـحبت القوى الشـعبية من منظريـة قم وأطرافها، فإقتربت القوات الروسـية من قم، فاضـطرّت لجنـة الدفاع أن تترك المنطقة وتتّجه إلى كاشان. وقد تفاقم الوضع، وإزداد رعب النـاس عنـد إقـتراب الروس، وإنتقـال لجنـة الـدفاع إلى كاشـان، حيث مـا زالت تختـزن ذاكرتهم الأعمـال الوحشـية التى إرتكبها الروس فى تبريز.

وبالفعل فقـد دخل الروس أواخر عام الف وثلاثمائـة وأربعـة وثلاثين هجرية مدينة قم، وذلك بعد مقاومة شديدة من الأهالى، وما ان تمّ الإستيلاء على قم إلّا وإرتكب المحتلون بالنسبة إلى الأهالى أبشع الفجائع وأشنعها، وذلك طيلة سنوات الإحتلال.

(الآثار التاريخية فى قم)

تحتضن قم المقدّسة على أرضـها آثاراً تاريخية عريقة، ومواقع أثريّة كثيرة، والتى من أهمّها: الأضرحة المنوّرة لأبناء الأئمّة المعصومين (عليهـم السـلام)، والمراقـد المطهّرة للسـادة العلـويين، وكـذلك قبـور كبـار العلمـاء والمفكّريـن، بالإضافة إلى الشخصـيات السياسـية والإجتماعية المرموقة، وهذا ما جعل قم منطقة غنيّة بالآثار التاريخية، التى تشدّ إليها الرحال، وتتوجّه نحوها الأنظار.

وإذا أردنا التعرّف على جزئيات هـذه الآثار، وخصوصـيات تلك المراقد المذكورة، نجد أنفسـنا بحاجة لكتاب مسـتقلّ، وقد قام بعض المحقّقين بذلك، فجزّاه الله على سـعيه خير الجزاء، غير انّه لا يخفى انّ فى مقدّمة تلك الآثار التاريخية العريقة لمدينة قم المقدّسة هو: حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، الذى يحتاج بيان أهميّته، وكثرة بركاته وخيراته، إلى كتب مفصّلة.

قم المقدّسة ومدارسها الدينية والتثقيفية

منذ أوائل القرن الأوّل الهجرى كان لأهل قم الشـيعة، دور كبير فى نشـر المذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فقد اُنشئت المراكز والمؤسّـسات التى تعنى بذلك، واُسّـست المدارس الدينية والتثقيفية التى نهضت بأعباء نشر المذهب الحقّ: مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، فبقيت صامـدة رغم كـلّ الهجمات التى كانت تتعرّض لها، وإسـتطاعت أن تقـدّم خـدماتها الثقافيـة والعلميـة حسـب مقتضيات كلّ عصر وزمان، حتّى يومنا هذا.

نعم، لقـد إمتـدّت جـذور هـذه المـدارس الدينيـة فى قم لأكثر من ثلاثة عشـر قرناً، وآتت اُكلها كلّ حين بإذن ربّها، ولا تزال كذلك والحمـد لله، وقـد شـهدت عدّة تحوّلات مهمّة خلال هذه القرون المتطاولة، ممّا يحتاج بيانه إلى سـيرة تاريخية خاصّة بها، حتّى يمكننا الوقوف على أوضاع المـدارس ومناهجها، وكيفيـة التعليم والتبليغ فيها، وكـذا الإطّلاع على كيفيـة بناء المـدارس وهندسـتها، وترميمها وتوسعتها، وخصائصها المعمارية والفنّية.

ويمكننا أن نلخّص القول فى: انّ هذه المدارس وبصورة عامّة بقيت ولا تزال مركزاً مهمّاً لنشـر المفاهيم الإسلامية الشيعية. وبقى نورها ولاـ يزال متألّقاً ووهّاجاً وان لم يكن على وتيرة واحـدة على مختلف العصور، فقـد كـانت تخمل فى بعض العهود، ولكن مع هـذا لم تتوانى فى أداء وظيفتها والقيام بأعباء مسؤوليتها، وقـد شـهدت هـذه المـدارس، وخاصّة فى بعض الظروف الأخيرة تطوّراً ملحوظاً، كما انّها اليوم بحاجـة إلى تطوّر أكبر، مثل: إنضوائها تحت إدارة شورى الفقهاء المراجع، كى تسـتطيع أن تواكـب العصـر الجديد فى إبلاغ رسالتها إلى العالم كلّه، وأداء وظائفها التثقيفية والدينية، والعلمية والأخلاقية إلى جميع البشرية.

علماء النجف وكربلاء فى قم

بعد أن طرد الشـعب العراقى المسـلم بقيادة مراجعه العظام الإسـتعمار البريطانى من العراق وذلك فى ثورة العشرين المعروفة تسلّل هذا الإسـتعمار العجوز عبر نافـذة الحكّام الجُـدد إلى العراق ثانية، وأخذ يخطّط من وراء السـتار للإنتقام من الثوّار والثائرين بصورة خاصّة، ومن الشعب العراقى بصورة عامّة.

وحيث انّ الإسـتعمار العجـوز من أخبث المسـتعمرين وأحقـدهم على الشـعوب، بقى ولاـ يزال ينتقم من الشـعب العراقى ومن علمـائه، بتسـليط حزب البعث عليه حتّى هذا اليوم، ونحن نسأل الله أن يفضح المسـتعمرين وخاصّة هذا الإستعمار العجوز، وأن يهيّأ من الشعوب رجالا أحراراً يقطعون دابر الأنظمة الإسـتعمارية، ويجتثّون جذور الإسـتعمار والإستثمار، من على خارطة الثقافة الجديدة التى يرسمونها لعالم الإنسان والمجتمع البشرى الجديد فى ظلّ نظام الإسلام.

وكيف كـان: فقـد نفّـذت الحكومـة العراقيـة أوامر أسـيادها، وأقـدمت على تهجير أكثر من ثلاثين عالماً ومرجعاً من مراجع الـدين فى العراق، والـذى كـان مـن بينهم: السـيّد أبـو الحسن الاصـفهانى، والشـيخ النـائينى، والمحقّـق العراقى، والسـيّد محمّـد على الطباطبـائى، وغيرهم، وقـد إسـتقبلهم الناس فى ايران وخاصّة أهالى قم المقدّسة، وعلمائها العظام، بكلّ حفاوة وتكريم، فنزلوا جميعهم ضـيوفاً على

آية الله اليزدى فى قم المقدّسة، وذلك عام الف وثلاثمائة واثنين وأربعين هجرية.

قم المقدّسة مركز المعارضة

لقد خرج آية الله الحاج نور الله الإصفهانى، وهو أحد كبار علماء اصفهان، عام الف وثلاثمائة وستّة وأربعين هجرية على دولة البهلوى الأوّل رضا خان.

وحيث انّه أراد أن يوسّع خروجه إنتخب مدينة قم، فقدم إليها على رأس طائفة من جماهير اصفهان، وكان هو يحمل لواء المعارضة ويحرّض الجماهير على المسيرات الإحتجاجية، والمظاهرات السلميّة.

وإثر هجرة نور الله وبعض علماء اصفهان إلى قم، تقاطر العلماء من كلّ نقاط ايران إلى قم، ليلتحقوا بصفوف النهضة، فأضحت قم المقدّسة نواة الإحتجاجات ضدّ حكومة البهلوى الأوّل رضا خان.

أوّل من انتهک حرمات حرم قم

فى الليلة الاُولى من فصل الربيع، عام الف وثلاثمائة وسبعة وأربعين هجرية، وفى أثناء إحتفال دخول السنة، دخلت عائلة رضا خان إلى حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)منتهكة للحرم المقدّس ولأهله، حيث انّها لم تكن تراعى الحجاب الإسلامى، ولذلك جوبهت بإعتراض شديد من الناس وتنديد كبير منهم، وكان من بين المعترضين آية الله الشيخ محمّد تقى البافقى، والسيّد ناظم، وكان قد أبلغها الشيخ برسالة جاء فيها: «ان كنتم مسلمين فلِمَ بهذا التهتّك تردون الحرم؟ وان لم تكونوا كذلك فلِمَ جئتم؟».

ثمّ انّ الناس الذين كانوا لم يشاهدوا حتّى ذلك اليوم امرأة سافرة بلا حجاب، ولم يشاهدوا أحداً يهتك كهذه المرأة حرمة حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) بالدخول إليه بلا حجاب، حالوا بينها وبين دخول الروضة المباركة ولم يأذنوا لها بذلك أبداً، فرجعت المرأة خائبة تجرّ أذيال الخزى، وأخبرت البهلوى الأوّل الدكتاتور رضا خان بالأمر وأثارت غضبه.

فاتّجه الدكتاتور المستبدّ مع جلاوزته نحو قم، وما ان وصلها إلاّ وأسرع نحو الروضة المباركة للسيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، ودخلها فى الساعة الثانية ليلا وهو مدرّع، وإنهال مع جلاوزته على الناس بما فيهم العلماء شتماً وضرباً، وخصّ من بينهم آية الله الشيخ محمّد تقى البافقى، وكان شيخاً طاعناً فى السنّ فضرب ضرباً مبرحاً واُودع السجن.

وكان هذا التجاسر الوقح، والإعتداء المشين وأمثاله، من العوامل المهمّة لمعاداة الشعب الإيرانى مع البهلوى الأوّل والثانى، حيث تراكمت هذه العوامل وأدّت إلى إنفجار الشعب المسلم، وإسقاط حكومة البهلوى الملكى فى ايران.

قم تستدرّ السماء

انّ الإسلام ندب المسلمين إلى طلب السقيا والمطر، كلّما إنقطع عنهم الغيث، وأجدب عليهم الزمان، وقد اُصيبت قم إثر ظلم البهلوى وطغيانه وإنتهاكه حرمة القرآن والإسلام، ومصادرته حقوق الشعب والعلماء بهذا البلاء، فاُقيمت صلاة الإستسقاء بمنتهى الخضوع، والإخلاص، وبمشاركة أهالى قم قاطبة، وبإمامة آية الله العظمى الخوانسارى، وذلك إثر الجفاف الذى أصاب قم عام الف وثلاثمائة وواحد وستّين هجرية.

وكان ذلك مصادفاً لمحنة إستقرار القوّات الانجليزية على أرض قم المقدّسة، فانّها عندما شاهدت جماهير قم تتّجه نحو الصحراء، وفى اتّجاه المناطق التى إستقرّت فيها، خافت وخشيت على نفسها ظنّاً منها بأنّ الجماهير تنوى الهجوم عليها، وقد لفّهم الذهول حين إستجاب الله دعاء هذه الجماهير، وأرسل عليهم السماء مدراراً، وأنقذهم من الجدب والقحط.

(حركة الفقهاء المراجع)

لقد أفسد البهلويان: الأوّل والثانى فى ايران ديناً ودنياً، أيّما إفساد، فتحرّك مراجع المسلمين فى قم خاصّة، وفى ايران عامّة، وتبعهم الناس جميعاً، لرفع كابوس الظلم عن أرضهم وبلادهم، وقد عملوا فى غاية التعقّل، ومنتهى الحكمة، حيث انّهم استخدموا اللاعنف فى حركتهم لإسقاط تلك الحكومة الغاشمة.

نعم، لقد تحرّك الفقهاء المراجع، كما تحرّكت الجماهير الشعبية: من شباب وشيب، وتجّار وموظّفين، وسائر طبقات الناس، من شرق ايران إلى غربها، ومن أدناها حتّى أقصاها، يطالبون الحكّام بالإسلام، ويستنكرون عليهم ظلمهم واستبدادهم.

وقد نظّموا لتحقيق ذلك، المظاهرات السلميّة، والإضرابات العلنية، من دون أن يستفيدوا من العنف، أو يستخدموا السلاح مطلقاً حتّى يئس الحكّام الظالمون من البقاء، ولاذوا بالفرار مرعوبين مخذولين.

وهنا تحقّق وعد الله للمؤمنين بالنصر، ومنّ عليهم بالغلبة والظفر، وأورثهم عرش الظالمين ومناصبهم، ومكّنهم فى الأرض والبلاد، وجعلهم خلائف من بعدهم لينظر كيف يعملون.

انّهم وعدوا الناس بمنح الحرّيات الإنسانية، وتطبيق الإسلام الموجود فى الكتاب والسنّة، والإستقلال عن الشرق والغرب، ومكافحة الجهل والفقر، وتوفير الرزق والمال.

هذا وقد اطمئنّ الناس إليهم، وسكنوا إلى وعودهم، حيث كان فى القمّة فقهاء عدول، ومراجع صادقون، ممّا لم يُعرف منهم كذبة فى قول، ولا خطل فى رأى، ولا إنحراف فى سلوك.

ولذلك هبّ الناس فى هذا السبيل، وبذلوا من أجله كلّ غال ونفيس، وقدّموا أموالهم وأنفسهم.

كما وتحرّك فقهاء العراق عامّة، وعلماء كربلاء خاصّة فى تأييدهم ومساندتهم، حتّى كتب الله لهم النصر، وأخزى أعداءهم الظالمين.

والناس اليوم يتوقّعون تحكيم شورى الفقهاء المراجع فى القيادة، وتثبيت نظام التعدّدية الحزبية، والمؤسّسات الدستورية فى الحكم. وينتظرون تطبيق الإسلام تطبيقاً حرفيّاً دقيقاً، فى كلّ مجالات الحياة.

ففى مجال الوحدة يريدون تطبيق قوله تعالى: (وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)() برفع الحدود الجغرافية من البلاد الإسلامية وحذف تأشيرات الدخول والخروج.

وفى مجال الأُخوّة يريدون تطبيق قوله سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)() برفع الحواجز النفسيّة، ومضايقات الجنسيّة والهوية.

وفى مجال الحرّيات الإسلامية يريدون تطبيق قوله تعالى: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاْغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ)() بحذف القيود والرسوم، والجمارك والضرائب، وإطلاق حرّية السفر والإقامة، والتجارة والزراعة، والعمران والسكن وما إلى ذلك حسب ما يراه الإسلام، حتّى تكون حكومة إسلامية، كما أرادها الله تعالى، وبيّنها الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعرّفها الأئمّة الطاهرون (عليهم السلام)، فتكون نواة لوحدة إسلامية كبرى تضمّ كلّ العالم الإسلامى، الذى يبلغ نفوسه مليارا نسمة حسب الإحصاءات الأخيرة، ان شاء الله تعالى.

مسجد جمكران

من المزايا الفريدة التى إمتازت بها مدينة قم المقدّسة على سائر المدن، مضافاً إلى ما تقدّم: من انّها حرم أهل البيت (عليهم السلام)، وانّها مركز محبّيهم ومواليهم، وانّها تحتضن مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، ومراقد كثير من أبناء الأئمّة الأطهار، والعلماء الأعلام، هو وجود مسجد فيها ينسب إلى الإمام المهدى صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ويدعى باسم: مسجد جمكران، وهو يبعد بضعة كيلومترات عن قم.

ويحظى هذا المسجد بأهمّية خاصّة، حيث يقصده المسلمون من كلّ حدب وصوب، ولا سيّما فى ليالى الأربعاء وليالى الجمعة من كلّ

اسبوع، فهو دوماً مأوى للزائرين الـذين يؤمّونه، ومأمن للوافدين الذين يتوافدون عليه من كافّة مدن البلاد، بغية الزيارة، وأداء الطقوس الدينية، ونيل المنى والحوائج.

صورة مسجد جمكران

خاتمة

عند مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام))

نقل لى آية الله السيّد المرعشى النجفى (قدس سره): انّ شقوقاً حدثت فى اسطوانات الروضة المباركة للسيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، تلك الاسطوانات التى تعتمد عليها القبّة الذهبية المنوّرة، فاستدعى المعمارون لترميم الشقوق وإصلاح الاسطوانات فقال المعمارون: لأجل الإطمئنان من انّ هذه الشقوق الحادثة فى الاسطوانات سطحية، وليست عميقة، لابدّ وأن ينزل أحد إلى السرداب المحيط بالقبر الشريف، ويستعلم حال السرداب، والجدران والأعمدة التى تعتمد عليها الاسطوانات.

فانتخبوا جماعة من السادة ومن بينهم السيّد المرعشى، للنزول إلى داخل السرداب حيث القبر الشريف، فنزل السيّد المرعشى ومن معه من السادة، وإذا بهم يرون السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) مسجّاة باتّجاه القبلة، وقد كُشف الكفن عن وجهها المنير كما هو فى مستحبّات الدفن، حيث يستحبّ صنع وسادة من التراب وكشف وجه الميّت ووضعه عليها.

يقول السيّد المرعشى (قدس سره) وكانت كالنائمة أو كالميّتة الآن طريّة، ويفوح منها رائحة عطر الكافور، وكان كفنها طريّاً جديداً أيضاً وكأنّها قد دفنت توّاً، وكان لونها حنطاوياً مشبّعاً يميل إلى السمرة الشديدة، كما هو عليه أهل المدينة المنوّرة، وكانت من حيث السنّ كأنّها من أبناء العشرينات.

هذا وكان إلى جانبها وحواليها نساء اُخر، وكانت هى (عليها السلام)تتوسّط امرأتين يميل لون وجههما إلى السواد الشديد، حتّى كأنّهما من وصائف السودان وجواريهما، وكنّ جميعاً حتّى أكفانهنّ طريّات جديدات كأنّهنّ دفنّ اليوم أو البارحة.

أقول: ويؤيّد ما ذكره آية الله السيّد المرعشى: من تعدّد النساء المدفونات مع السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، بعض الكتب التاريخية المتعرّضة لذلك، مثل كتاب تاريخ قم وغيره من الكتب الاُخرى.

وسام الشهادة

وحيث بلغ بنا الكلام حول معجزة بقاء جثمان السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) بعد إستشهادها غظّاً طريّاً، رغم مرور أكثر من الف عام عليه، لا بأس بذكر بعض الشهداء والصالحين الذين عثر على جثمانهم بعد شهادتهم، فانّ هناك فى التاريخ قصصاً كثيرة، وفى الأمصار مشاهد غفيرة وجمّة، تتحدّث كلّها حول أشخاص استشهدوا، أو ماتوا حتف أنفهم فدفنوا، ثمّ عُثر على أبدانهم، فكانت سالمة وغظّة، طريّة وجديدة، لم تأكل الأرض أبدانهم ولم تُبل حتّى أكفانهم، ومن اُولئك الذين عثر على بدنهم فكان سالماً طريّاً هو: الحرّ بن يزيد الرياحى.

لقد استشهد الحرّ فى نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء عام واحد وستّين هجرية، فى كربلاء المقدّسة، وعندما اُصيب فى أرض المعركة وسقط على وجه الأرض صريعاً وكان به رمق، جاء الإمام الحسين (عليه السلام) إليه وأخذ رأسه فى حجره، وحيث كان الحرّ بادىء أمره فى جيش ابن زياد وقد أخذ الطريق على الإمام الحسين (عليه السلام) وجعجع به وبمن معه، ثمّ اهتدى وتاب، ورجع وصار مع الإمام الحسين (عليه السلام)كان يتمنّى أن يمنحه الإمام الحسين (عليه السلام)وساماً يكون علامة على قبول توبته، والعفو عن زلّته.

وكذلك فعل الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحرّ، حيث أخذ (عليه السلام)منديلا كان معه وشدّ به رأس الحرّ، الذى كان قد أُصيب بطعنة فى المعركة وكان ينزف دماً، وقال له: أنت كما سمّتك اُمّك: حرّ فى الدنيا، وسعيد فى الآخرة، وهنا طابت نفس الحرّ ولفظ أنفاسه الأخيرة ورأسه فى حجر الإمام الحسين (عليه السلام).

وعندما وضعت الحرب أوزارها وأمر ابن سعد بقطع الرؤوس، وسحق الجثث بحوافر الخيل، أقبل رجال من عشيرة الحرّ وحملوا الحرّ بعيداً عن المعركة، ودفنوه على بُعد فرسخ من كربلاء حيث مرقده الآن.

مرّت على دفن الحرّ قرون متطاولة، وكلّما أقبل الزائرون لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) كانوا يزورون الحرّ فى بقعته المعروفة ويتبرّكون بزيارته، حتّى إذا زاره السلطان الصفوى، وكذلك العثمانى، أمر كلّ منهما وذلك بتعاقب، وليس فى زمان واحد، أن ينبشوا قبر الحرّ، فلمّا وصلوا إلى الجسد، شاهدوه جديداً طريّاً، كأنّه قُتل الساعة ودفُن الآن، ورأوا على رأسه ذلك المنديل الذى شدّه الإمام الحسين (عليه السلام) وساماً له، وعلامة على قبوله والعفو عنه، فطمع كلّ من السلطانين أخذ هذا الوسام لنفسه، والتبرّك به، فانّه منديل الإمام الحسين (عليه السلام) وهديته. ولكن لمّا همّ كلّ واحد منهما بفتحه، إذا به يرى الدم يتفجّر من رأسه، ويسيل على وجهه، فأمر بمنديل فشدّوا به رأسه فلم يتوقّف الدم، فأمر بمنديل ثان وثالث ورابع فلم يتوقّف الدم، فعرفوا انّ هذا الوسام وسام خاصّ بالحرّ وانّه لا يُعوّض بشىء آخر، فأخذ كلّ واحد منهما للتبرّك خيطاً من ذلك المنديل، وردّوه إليه وشدّوا به رأسه، فتوقّف الدم وسكن من فوره.

نعم، هكذا يبقى جسم الحرّ الشهيد سالماً طريّاً، رغم القرون المتمادية التى مرّت على دفنه، والعصور المتوالية التى إنقضت من مواراته، فانّ الأرض لا تجرأ على أن تمسّه، أو تصيبه بأذى، وما ذلك إلّا بأمر من الله تعالى ربّ العالمين.

الميرزا الشيرازى الكبير بعد وفاته

نقل لى الميرزا محمّد الطهرانى (رحمه الله)، وهو أحد تلاميذ الميرزا الشيرازى الكبير قائلا: انّه بعد وفاة الميرزا الشيرازى الكبير بسنوات عديدة، اتّفق لنا أن نفتح مدخل السرداب الذى كان الميرزا (قدس سره) قد دفن فيه، لدفن إنسان آخر، قال: فنزلت أنا وأحد أبنائى فى السرداب المذكور لدفن ذلك الإنسان، وإذا بى أرى الميرزا الشيرازى الكبير مسجّى فى مكانه الذى دفناه فيه قبل عدّة سنوات، وهو على هيئته السابقة، وهندامه القديم، لم يمسّ جسمه ولا كفنه بأذى، غضّاً طريّاً، وسالماً جديداً.

حتّى انّ إبنى الذى كان قد نزل فى السرداب معى، كشف شيئاً من الكفن الذى كان قد غطّى على عضده، ولمس عضده بقوّة، فرأينا الدم قد إنساب من تحت الجلد وابيضّ أطرافه على أثر لمسه بقوّة، ثمّ لمّا رفع يده عاد الدم إلى مكانه، ورجعت الحمرة إلى البشرة من جديد، فتعجّبنا من ذلك، ومن انّه كيف بقى بدن الميرزا وحتّى كفنه رغم تلك السنوات العديدة سالماً وطريّاً.

ولكن لا تعجّب من ذلك، حيث انّه (قدس سره) كان عالماً عاملا، وفقيهاً بارّاً، ووليّاً من أولياء الله تعالى، والله سبحانه على كلّ شىء قدير.

حذيفة بن اليمان وكرامته

لقد اتّفق فى زماننا حين كنّا فى العراق، وفى عهد رئاسة السيّد محمّد الصدر، أن طغى ماء دجلة طغياناً كبيراً، فتهدّم بسببه أماكن كثيرة وفى جملة ما تهدّم: قبر الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان، الذى كان على شاطىء دجلة، فكان جسده كيوم مات فيه طريّاً جديداً، وكذلك كان كفنه.

فأثار تعجّب الناس وهرعوا إلى مشاهدته وزيارته، حتّى توفّق أن يراه كثير من أهالى بغداد وقال كلّ من رآه: انّه كان غضّاً طريّاً كأنّه مات الساعة، أو كأنّه كان نائماً، وكان أسمر اللون شديد السمرة، ذا لحية بيضاء كثّة، ثمّ انّه قرّروا أن يدفنوه إلى جانب سلمان

الفارسی وفی بقعته المبارکة وذلک فی سلمان پاک، فدفنوه هناک رحمة الله علیه.

بعد مرور أکثر من الف سنة

عُثر فی مدینة یزد علی جسد امرأة تدعی باسم: «بی بی حیاة» ویقال عنها: انّها رافقت الفتح الإسلامی إلی یزد، وذلک قبل أکثر من الف سنة، والجدیر بالذکر هو: انّهم لمّا عثروا علی جسدها وجدوه جدیداً طریّاً، وکأنّه جسد إنسان نائم، أو إنسان مات من توّه، ولم یؤثّر تراب الأرض، ولا هوام القبر، علی سلامة جسدها، ولا علی متانة کفنها.

نعم، کانت هذه المرأة کما یقال: من المؤمنات الصالحات، فحفظ الله جسدها من التلف والآفات، وحرمها علی تراب القبر کما حرمها علی نار جهنّم.

وکذلک حفظها من أن یسرقها البریطانیون، وصانها من أن یختطفها المستعمر العجوز علی أیدی عملائه فی المنطقة، فقد سرقوا الجثّة من یزد لیلا، وذهبوا بها إلی بندر عبّاس خفیة، وکان فی نیّتهم أن ینقلوها عن طریق البحر إلی لندن، فتسرّب خبر سرقتهم هذه إلی السلطات الایرانیة، فتلاحقوا الأمر، وتدارکوا القضیّة، وقبضوا علی السارقین، وأنقذوا الجثّة من أیدیهم، وأرجعوها إلی یزد، وهی الآن مدفونة فی قبر معروف بیزد، یؤمّها القاصدون ویزورها الناس من کلّ مکان.

جثمان الشاب إسماعیل ابن الإمام الصادق (علیه السلام)

لقد کان إسماعیل ابن الإمام الصادق (علیه السلام) شابّاً وسیماً، وعالماً أدیباً، ومتدیّناً خلوقاً، ممّا جعل الناس یتصوّرونه انّه هو الإمام بعد أبیه، ولکن حیث انّ من شرائط الإمام أن یبقی حیّاً بعد الإمام الذی هو قبله لیمارس دوره فی الإمامة، علم الناس بأنّه لیس هو الإمام، وإنّما الإمام هو أخوه موسی (علیه السلام)، وذلک لأنّ إسماعیل توفّی زمن حیاة أبیه الإمام الصادق (علیه السلام).

فلمّا توفّی إسماعیل دعی الإمام الصادق (علیه السلام) أصحابه وأخبر سائر الناس، لیحضروا تجهیزه وتشییعه ودفنه، فلمّا حضروا جمیعاً جهّزه وکتب (علیه السلام) علی کفنه: إسماعیل یشهد أن لا ـ إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله إلی آخره، ثمّ شیّعوه إلی قبره، وفی طریقه إلی مثواه الأخیر، کان الإمام الصادق (علیه السلام) یأمر الناس المشیّعین بجعل الجنازة علی الأرض، وکان (علیه السلام) یفتح الکفن عن وجه إسماعیل ابنه ویقول للناس: من هذا المیّت؟ فکانوا یجیبونه: هذا ابنک إسماعیل، ثمّ کان یأمر بمواصلة تشییعه، فعل (علیه السلام) ذلک عدّة مرّات حتّی لا یقول أحد بعدها بإمامة إسماعیل، وإذا قال أحد بذلک فلا یبقی له حجّة علی الله.

وکیف کان: فقد عثر فی زماننا علی جسد إسماعیل هذا، فکان جسداً سالماً جدیداً، وغضّاً طریّاً، وذلک بعد ما إنهدم قبره، الکائن أمام البقیع فی المدینة المنوّرة، وقد توفّقت أنا وجماعة لزیارة قبره قبل إنهدامه، فی السنة التی توفّقنا فیها لحجّ بیت الله الحرام، وزیارة الرسول (صلی الله علیه وآله) وأئمّة البقیع (علیهم السلام) فی المدینة المنوّرة.

فلمّا إنهدم قبره الشریف وظهر جسده الطاهر، وکأنّه قد مات الآن، إذ لم یُبل جسده ولا کفنه، ظهر للناس مرّة ثانیة علوّ مقامه ما عدا الإمامة عند الله تبارک وتعالی، فانّه وان لم یکن إماماً إلاّ انّه کان ولیّاً من أولیاء الله عزّوجلّ، وقد أمر الله التراب أن لا یمسّ بدنه إحتراماً له، وأمر الأرض أن لا ـ تبلی جسده إعزازاً به، ثمّ نقلوا جسده الطاهر إلی داخل البقیع، ودفنوه هناک حیث مرقده الآن، وقد أصبح کما کان من قبل مزاراً للحجّاج والوافدین.

هذا وقد سمعت أنا بنفسی قصصاً کثیرة، وأحادیث غریبة، حول بقاء الأجساد، وسلامة الأبدان، لبعض الشخصیات العلمیة والدینیة بعد إرتحالهم من الحیاة، ممّا یطول بنا المقام فی ذکرها جمیعاً، ولکن هناک بعض الأصدقاء من اهتمّ بهذا الأمر وکتب کتاباً فی هذا المجال باسم: «الأجساد الخالدة» فمن أراد المزید فلیرجع إلیه.

هذا آخر ما أردنا إیراده فی هذا الکتاب سائلین الله تعالی أن یفید به، ویجعله لنا ذخراً وأجراً، آمین ربّ العالمین، وسبحان ربّک ربّ

العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

ربيع الأوّل / ۱۴۲۱ه ق

رجوع إلى القائمة

پی نوشتها

نهج البلاغة: ج ۱۰.

سورة المطفّفين، آية۲۶ (فليتنافس المتنافسون).

سورة الأنبياء، آية۹۲، وسورة المؤمنون، آية۵۲.

الكافي: ج۵ ص۲۷۹، التهذيب: ج۷ ص۱۵۲، الإستبصار: ج۳ ص۱۰۸.

مستدرك وسائل الشيعة: ج۱۷ ص۱۱۱، إلاّ فيه «لا يسبقه».

سورة محمّد (صلى الله عليه وآله)، آية۷.

سورة آل عمران، الآية۱۳۹.

بحار الأنوار: ج۳۹ ص۴۷، وسائل الشيعة: ج۲۶ ص۱۴ وص۱۲۵.

سورة الأنبياء، آية۳۴.

عن الصادق (عليه السلام): «تدخل بشفاعتها شيعتي الجنّة بأجمعهم». سفينة البحار: ج۲ ص۳۷۶.

نهج الشيعة: ص۵.

سورة آل عمران، آية۱۰۳.

سورة الشورى، آية۳۸.

نهج البلاغة: ج۱۰.

بحار الأنوار: ج۷۵ ص۲۴، ألا فيه: «عليكم بتقوى الله ونظم أمركم».

بحار الأنوار: ج۶۹ ص۴۱۰.

سورة الحديد، آية۱۲.

سورة النمل، آية۵۹.

سورة الصافات، آية۸۰.

سورة الصافات، الآية۸۱.

بحار الأنوار: ج۷۰ ص۱۹۱ وص۲۳۷.

بحار الأنوار: ج۴۳ ص۳۵۱.

سورة البقرة، آية۱۸۵.

عوالي اللئالي: ج۱ ص۳۸۱، غرر الحكم: ص۴۸۳.

«الساس» حشرة صغيرة جدّاً، يصعب رؤيتها بالعين المجرّدة، وهي تدخل في جسم الإنسان وتمتصّ دمه، ويتورّم جلده، ممّا يوجب أذيّته أذيّة بالغة جدّاً.

تتميماً للفائدة وإغناءً للبحث نحيط القارىء العزيز ببعض المقتطفات الوجيزة حول هذا الكتاب القيّم.

فقد ترجم المؤرّخ المعروف الحسن بن على بن الحسن بن عبدالملك هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية فى مطلع القرن التاسع الهجرى، وجاءت الترجمة حسب الفهرست الموجود بالفارسية فى عشرين باباً، ولكن لم يبق بأيدينا منه سوى خمسة أبواب فقط، وأمّا الباقى المترجم فكالأصل العربى قد أكل عليه الدهر وشرب، وضاع بين حوادث الدهر، وبُعد الأمد، ونحن نذكر ترجمة الفهرست الموجود بالفارسية تتميماً للفائدة، وتنبيهاً على عظمة رجال قم فى مجال التاريخ وغيره، وترغيباً للناشئة للتحليق إلى فضائلهم ومحاسنهم:

«الفهرست»

الباب الأوّل: فى ذكر قم وسبب تسميتها بهذا الإسم بعد تسميتها بالفارسية، وذكر القديم والحديث من أمرها، وكيفية فتح ناحيتها، وإنتهاء حدودها، ومسافة أقطارها، وذكر طولها وعرضها وبرج طالعها، وعدد طرقاتها ومداخلها وساحاتها ومساجدها وحمّاماتها، وسبب فصلها عن اصفهان، ووقت إعتبارها مدينة مستقلّة، وما يدخل فى ناحية قم ويعدّ منها، وما يتعلّق بها من ضياع وأسمائها. وذكر القديم والحديث من قلاعها، وذكر أوّل مسجد بنوه بقم ونصبوا المنبر فيه إلى أن بنى المسجد الجامع ونقل المنبر إليه، وذكر دور الخراج ودار الضرب وسرايات الحكّام والولاة والسجون، وذكر قنواتها وسواقيها وأنهارها ومطاحنها وما بها من مقاسم للمياه ورساتيق، وعدد ضياعها وقراها من عربية وفارسية، وعدد الضياع والدساكر التى اُلحقت بقم من المدن الاُخرى، وذكر بعض الطلّسمات وبعض ما كان مشهوراً بها من بيوت النار، وذكر فضائل قم ونواحيها وسكّانها وما لحقهم من الآفات والعاهات ... ويشتمل هذا الباب على ثمانية فصول.

الباب الثانى: فى عدد المرّات التى مسحت فيها قم والمرّات التى فرض فيها الخراج عليها، ومبلغ خراجها وأسماء ضياع الخراج وذكر أنواع إلى أن ثبّته الشيخ الأمين أبو الحسن عبّاد بن عبّاس؛ سنة ثلاثين وثلاثمائة. وذكر نجومها وتقاليدها ومؤونها وإخراجاتها، وذكر رسوم الصدقات بقم وما كان من أمر الخراج فى أيّام العجم وفى الإسلام، وذكر وجوه الأموال وأحكام الأراضى ... ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول.

الباب الثالث: فى ذكر من نزل بقم واستوطنها من الطالبيين، وذكر بعض الفضائل المرويّة فى حقّهم، بعد الإبتداء بذكر أولاد أمير المؤمنين على وفاطمة والأئمّة المعصومين:، وعدد أولادهم ومدّة أعمارهم ووفيّاتهم.. ويشتمل هذا الباب على فصلين.

الباب الرابع: فى ذكر مجىء العرب من آل ملك بن عامر الأشعرى إلى قم وآوج (ساوه) وإستيطانهم لهما وسبب رحلتهم من الكوفة إلى قم فى الروايات المختلفة، والسبب الذى من أجله قتل الحجّاج بن يوسف محمّد بن السائب ابن مالك الأشعرى ... ويشتمل هذا الباب على فصلين.

الباب الخامس: فى أخبار العرب الأشعريين الذين أسلموا وسبب إسلامهم وهجرتهم مع الرسول، والفضائل المرويّة فيهم وحكومتهم ومفاخرهم المشهورة، مع أخبارهم فى الجاهلية وذكر قبائلهم وعشائرهم وبعض وقائعهم وأيّامهم وأشعارهم.. ويشتمل هذا الباب على فصلين.

الباب السادس: فى ذكر أنساب الأبناء من العرب بقم عموماً، وفضل اليمنيين خاصّة، وذكر نسب قحطان، وما نقل فى ذلك من روايات.. ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول.

الباب السابع: فى ذكر من توطّن بقم من العرب، ومن بلغ منهم مراتب الرئاسة والسيادة، مع بعض آخر من أخبارهم بصورة عامّة.. ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول.

الباب الثامن: فى ذكر الحوادث والوقائع المشهورة التى حدثت بين هذه الجماعة من العرب.. وهذا الباب موضوع فى فصل واحد.

الباب التاسع: فى ذكر من حكم قم من ولاة الخلفاء وسائر السلاطين من عرب وعجم، وذكر بعض كتّاب الديوان الذين كانت أسماؤهم محفوظة.. ويشتمل هذا الباب على فصل واحد.

الباب العاشر: فی وقت ظهور الإسلام فی قم وذکر الفضائل المرویّة فی شأن الفرس، ومن کان من الفرس بقم فی الأیّام القدیمة والحدیثة، إنّ الذین کانوا أو الذین أتوا إلیها وإستوطنوها.. ویشتمل هذا الباب علی ثلاثة فصول.

الباب الحادی عشر: فی تواریخ سنی ولاة قم وحکّامها، والجریبات وخراجها ومسافتها، من سنة صارت مدینة وکورة وذلک سنة تسع وثمانین هجریة إلی آخر سنة ثمان وسبعین وثلاثمائة، وذکر أسمائهم وبعض أخبارهم وعددهم وهو مائتا شخص وشخص.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب الثانی عشر: فی أسماء قضاة قم وبعض أخبارهم، والسبب الذی من أجله لم یرسل الخلفاء قضاة إلی قم حتّی خلافة المکتفی، وذکر الرجال الذین إختارهم العرب منهم برضاهم للقضاء فیما بینهم، إلی أن جدّد المکتفی سنة تولّیه القضاء علی قم وأرسل لها القضاة.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب الثالث عشر: فی سنی الخلفاء والوزراء وحوادث قم وباقی مدن الإسلام، بعد الإبتداء بذکر مولد رسول الله (صلی الله علیه وآله)، وجمیع أخباره من یوم مبعثه إلی یوم هجرته، وسائر التواریخ المختارة من الهجرة حتّی آخر سنة ثمان وسبعین وثلاثمائة.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب الرابع عشر: فی ذکر ضیاع السلطان والأملاک الأمیریة فی قم وآوج وأنواعها من قدیمة خاصّة معروفة بالعبّاسیة وعامّة، والفراتیة السهلانیة والیعقوبیة، وحدیثة مقبوضة فی سنتی ست وسبع وستّین وثلاثمائة، ومبلغ خراجها وعدد أسهمها، مع ذکر سائر شؤون بلدة آوج التی لم تذکر فی الدفتر السلطانی.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب الخامس عشر: فی الضیاع والحصص الموقوفة ومبلغ خراجها وعدد أسهمها والبائر والخرب منها وذکر من تولّاها من أهالی قم من العرب والعجم وهم أربعون شخصاً، وفی تفحّص أحوال هذه الحصص الموقوفة وأحوال المتولّین اُمورها من قبل الخلفاء والولاة علی قم، إلی أن صارت کلّها من الأقطاع.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب السادس عشر: فی ذکر أسماء بعض علماء قم، وعدد الخاصّة منهم وهو مائتان وستّة وستّون شخصاً، وعدد العامّة منهم ممّن کانوا مشهورین فیها وهم أربعة عشر شخصاً، وذکر مصنّفاتهم وروایاتهم وبعض أخبارهم.. ویشتمل هذا الباب علی فصلین.

الباب السابع عشر: فی أسماء بعض الاُدباء والکتّاب وأمثالهم ممّن کانوا بقم، کالفیلسوف والمهندس والمنجّم والنسّاخ والورّاق، مع ذکر بعض أخبارهم ورسائلهم ومصنّفاتهم.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب الثامن عشر: فی ذکر بعض الشعراء الذین نظموا فی مدح أهل قم، ومن کانوا معروفین وشعرهم محفوظ ومشهور وعددهم أربعون شاعراً، وذکر الشعراء الذین ظهروا بقم وآوج مع بعض أشعارهم بالعربیة والفارسیة وعددهم مائة وثلاثون شاعراً.. ویشتمل هذا الباب علی ثلاثة فصول.

الباب التاسع عشر: فی ذکر الیهود والمجوس الذین بقم ونواحیها، وما کان مفروضاً علیهم من أموال ورسوم وما ورد فی هذا الکتاب من روایات، وسبب هجرة النصاری ونزولهم بقم وإستیطانهم لها فی مختلف الروایات.. ویشتمل هذا الباب علی فصل واحد.

الباب العشرون: فی بعض خصائص قم وبعض عجائب الدنیا، وأعمار الأنبیاء: وعددهم وکامل تواریخ الأیّام والسنین والقرون، وملوک العرب والعجم وملخّص أخبارهم، وبعض أخبار الاُمم من آدم ۷ حتّی زمان هجرة رسولنا ۹، وذکر بعض سنن العرب وعاداتهم وأحکامهم ومناقبهم وأصنامهم فی الجاهلیة، مع ذکر بعض الروایات الواردة فی التوحید، وذکر خصائص قریش وبنی هاشم ومکّة والمدینة والأخبار النادرة من روایات الشیعة وسواهم.. ویشمل هذا الباب خمسة فصول.

سفینة بحار الأنوار: ج۲ ص۴۴۶، عن أبی مقاتل الدیلمی نقیب الری قال سمعت علی بن محمّد الهادی (علیه السلام) یقول: «إنّما سمّی قم به لأنّه لمّا وصلت السفینة إلیه فی طوفان نوح (علیه السلام) قامت وهو قطعة من بیت المقدس». سفینة بحار الأنوار: ج۲ ص۴۴۵.

بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۸.

بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۴ و۲۱۷.

بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۴.

مستدرك الوسائل: ج ۱۰ ص۲۰۶.

بحار الأنوار: ج۹ ص۱۰۶.

بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۸.

بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۴.

نقل العالم الجليل، والحبر النبيل: الفيض فى كتابه: «انجم فروزان» ص۵۸ وكتابه الآخر: «گنجينه آثار قم» ج۱ ص۳۸۶ عن كتاب «لواقح الأنوار فى طبقات الأخبار» تأليف عبدالوهاب الشعرانى الشافعى المتوفّى سنة تسعمائة وسبع وثلاثين هجرية، وعن كتاب: «نزهة الأبرار فى نسب أولاد الأئمّة الأطهار» تأليف السيّد موسى البرزنجى الشافعى المدنى، قائلا: إنّ ولادة السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى المدينة المنوّرة فى غرّة ذى القعدة الحرام سنة ثلاث وثمانين ومائة بعد الهجرة النبوية على هاجرها آلاف التحيّة والسلام.

مستدرك سفينة البحار: ج۸ ص۲۵۷.

سورة الكهف، آية ۲۱.

الدعاء موجود فى بحار الأنوار: ج۸۲ ص۲۲۹ ۲۳۳ طبعة بيروت.

وأبوه من العلماء الأجلّاء وقد توفّى ودفن فى قم المقدّسة فى مقبرة باغ ملّى، القريبة من مقبرة على بن بابويه القمّى.

سورة فاطر، آيه۴۳.

سورة الأنبياء، آية۹۲، وسورة المؤمنون، آية۵۳.

سورة الحجرات، آية ۱۰.

سورة الأعراف، آية۱۵۷.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – عليهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ عليهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثقافة الثّقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بواعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ

المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مرکز
القائمیه
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریه
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹